٢٠

مصر من التقدم إلى التأخر

الأسباب والتداعيات

إعداد: إبراهيم بن حبيب الكروان السعدي

باحث في الفكر المعاصر

سلطنة عمان مسقط

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿العلق/١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿العلق/٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿العلق/٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) ﴿العلق/٤﴾

المقدمة

من الأسس المهمة لازدهار الأوطان وتشيد العمران في الدول هي المعرفة أي إدراك الأشياء المختلفة أو تعلمها أو اكتشاف ما لم يكن موجودا قبل عملية الاكتشاف، ولا يكون ذلك إلا من خلال تعلم العلوم في مراحلها المختلفة بدايات التعليم للإنسان، ومن هنا تكمن أهمية المعرفة، من خلال التجربة التي حدثت في بعض الحضارات العريقة، ومصر كانت دولة حضارية منذ القدم وقد بقيت تلك الآثار المتنوعة شاهدة على عراقة مصر ورقي شعبها وبصماتها لا تزال باقية على أرض الواقع.

ومن خلال عامل المعرفة تقدمت مصر وازدهرت حضارتها بين فترات مختلفة ما قبل التاريخ وبعده وفي بداية العصر الإسلامي وهكذا إلى أن جاء عصر النهضة الحديثة لتفجر للعالم العلوم المختلفة وقد نقلت هذه العلوم بعض الدول من الطرق القديمة إلى الأساليب العلمية الحديثة وتطورت من جيل إلى جيل آخر ونحن لا نزال نرى المكتشفات المتنوعة تتجدد بين فترة وأخرى كل ذلك من خلال المعرفة الشاملة.

ومن خلال هذا البحث عن (مصر من التقدم إلى التأخر) سنتطرق إلى تفصيل بعض الطرق التي أدت إلى تقدم مصر وازدهار تقدمها في بعض المجالات العلمية معتمدين على المنهجين الوصفي بدراسة بعض الأحداث وكذلك المنهج التحليلي للموضوع من خلال عملية التحليل لبعض الوقائع التي حدثت على أرض الواقع، في تلك الفترة زمن محمد علي باشا مؤسس نهضة مصر الحديثة وما تحقق في عهده وربطها بالأحداث المعاصرة سرد بعض الأرقام، وتتحدث عن تجربة تلك الدول التي ازدهرت في ظل عامل البناء المعرفي وأدى عمل ذلك إلى عملية الازدهار بين عوامل

النجاح والاخفاق كل ذلك من خلال الاعتماد على بعض المراجع والمصادر وبعض الأحداث التي تم نشرها ببعض الصحف.

وفي الجانب الثاني سيكون مخصصا عن العوامل التي أدت الى تراجع مصر وتأخرها عن مواصلة تقدمها من خلال ذكر بعض العوامل الداخلية والخارجية التي كانت سببا في ذلك.

وتكمن أهمية الموضوع في طريقة عرضه للأحداث وتحليلها بصيغة مغايرة من خلال عملية الربط بالواقع المعاصر وطريقة سرد بعض الأرقام العددية وكذلك المالية ليكون القارئ على بينية الاحداث التي شهدتها بعض الدول مصر وكذلك الصين كيف تقدمت مصر وكيف تم تحجيم طموحها من خلال الإشارة إلى ذلك وكذلك التطرق إلى العراق كيف تم قتل طموحات العراق وعملية التخلص من عقول العراق المتعلمة والمبتكرة، وسنضرب أيضا من خلال البحث مثال عن نهضة الصين بعد الحرب العالمية الثانية الأسباب التي أدت إلى تطور منجزاتها في كل ٢٦ دقيقة يتم افتتاح مركز للبحث وغي كل ٤٦ دقيقة يتم افتتاح مصنع للإنتاج.

والهدف من كل ذلك عملية توضيح بعض الوقائع الأسباب والتداعيات التي حدثت على أرض مصر وأخذ العبرة من مجريات الأحداث في ظل الصراعات العالمية لتحقيق المصالح الذاتية للدول.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

المحور الأول: التعريف بمعنى كلمة التقدم وتوضيح معنى كلمة التأخر

أولاً: معنى كلمة التقدم.

كلمة التقدم أو التطور او الانتقال من مرحلة إلى أخرى قد تختلف عن السابق اختلافا كليا أو جزئيا، ووردت كلمة قَدم في أكثر من معنى ومنها كما جاء في المعجم الوسيط (... قدم فلانٌ ــ قُدُماً: أي تقدّمَ ـ وقدما أي شجع فهو قدومٌ ومقدام. وــ القومَ قُدماً،

وقدوما: سبقهم فصار قُدّامهم وقدم الشيء ـ قِدما، وقدامةً، مضى على وجوده زمن طويل فهو قديم ... (القَدام): مَن يتقدم النَّاس بالشَّرف أو الرئاسة....)[1] والزعامة وبلوغ المنزلة العلية في بعض جوانب الحياة بمختلف أنواعها، ومن ضمنها عملية التقدم العلمي والمعرفي وتبرز الدول من خلالها معالمه الجديدة في الدولة وما ماثلها من مسميات العلوم الدينية والسياسية والاقتصادية ومن تخصص في عملية الابتكار والاختراع سواء أكان نافها أو ضارا فالمهم انهه أبداع وعمل إنساني لمواكبة تطورات الحياة المختلفة.

ثانياً: معنى كلمة التأخر.

كلمة التأخر هي المضادة لعبارة التقدم والتطور المنشود في الحياة البشرية همها اختلف المعنى المراد لتسميتها وكلمة تأخر لها عدة معاني ومنها كما جاءت في لسان العرب أنها (.... المؤخَّر وهو الذي يؤخر الأَشياءَ فَيضعُها في مواضِعها، وهو ضد المُقَدّمِ، والأُخُرُ ضد القُدُم. تقول مضى قُدُماً وتأَّخَّر أُخراً، والتأخر ضد التقدم؛ ... والآخرُ والآخرة نقيض المتقدَّم والمتقدَّمة، والمستأخرُ نقيض المستقدم...)[2] الذي يكون في المقدمة وظهوره حاضرا ومستقبله مشرقا إذا ما حافظ المجتمع أو الدول التي يكون فيها عوامل التطور والنماء متحققا، وكل ذلك بخلاف عملية التأخر والتخلف عن الركب الحضاري بحسب الفترات الزمنية التي ظهرت فيها الحضارات القديمة والجديدة ومن أبرز المعالم التي يعشها فيها الكائن البشرة فترة ازدهار الحضارة الحديثة التي أحدثت الكثير من الأشياء التي لم تكن موجودة سابقا.

---

[1] المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج، ٢ المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إستانبول تركيا، ط، بلا ص، ٧١٩ و ٧٢٠ (بتصرف)

[2] لسان العرب، للإمام العلامة محمد بن مكرم... ابن منظور، ج الأول / دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان، ط، الثانية ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، ص،٨٦، ٨٧ (بتصرف)

ومن هنا تبين لنا أن المعنين متضادين التقدم والتأخر أو التخلف عن مواكبة الأحداث المعاصرة واستمرار بناء المعرفة وتطويرها في مختلف المجالات للحياة البشرية فعملية التقدم هي الانتقال من مرحلة الجمود والتخلف إلى مرحلة التجديد والتقدم في ظل الحياة المعاصرة بناء المعرفة وازدهار الأوطان.

المحور الثاني: مصر من عالم التقدم إلى منهج التأخر.

تعد مصر من الدول الحضارية والمتقدمة في ميادين مختلفة ولها اسهامات كثيرة على الصعيد الحضاري للأمم وقد ذكر أسمها تلميحا وتوضيحا في القرآن الكريم سواء أكان بالإشارة المباشرة إلى أسم مصر أو بعض الأحياء التابعة لها ومن بين الآيات القرآنية التي وردت في أي الذكر الحكيم قوله تعالى (... وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ...) ﴿المؤمنون/٢٠﴾ فأرض سَيناء ذكرت في القرآن تلميحا وهي من الأحياء التابعة لمصر منذ تلك الفترة إلى يومنا هذا، وأراضي فيها الكثير من الخيرات، وعندما كان قوم موسى عليه السلاما لا يكتفون بصنف واحد من أنواع الطعام طلبوا من نبيهم موسى أن يخاطب ربه عز وجل أن ينوع لهم أصناف الطعام فكان خطابهم لرسولهم عليه السلام (..وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) ﴿البقرة/٦١﴾ ثم يأمر سيدنا موسى عليه السلام قومه بالتوجه إلى مصر قائلا لهم (... اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ...) ﴿البقرة/٦١﴾ وبعد ان وصل قوم موسى إلى مصر وجدوا ضالتهم بعد ذلك من الطعام الذي كانوا يسعون للحصول عليه وتمتعوا بأكله.

وفي قصة سيدنا يوسف عليه السلام المشهورة مع اخوته وبقية ذريته دخول مصر وهم في أمن وأمان ورد على لسانه عليه السلام في قوله تعالى (...فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ) {يوسف/٩٩} ومن هنا يتبين لنا أن مصر لها مكانة خاصة عند المصريين وغيرهم من الاجناس وذلك عبر التاريخ القديم منه والحديث وتميزت مصر بوجود الكثير من الخيرات الوفيرة على أراضيها الشاسعة والمميزات الكثيرة التي تتمتع بها أرض مصر، ولا تزال بعض الآثار شاهدت على ذلك منذ القدم.

ولكن كما يقال في المثل الشائع (دوام الحال من المحال) خصوصا في الحالة التي تحيد الشعوب وتبتعد عن المنهج السليم الذي رسم للبشر فمصر تبوأت مكانة رفيعة عبر تاريخها الحافل الكثير من الإنجازات ومنها على سبيل المثال لا الحضر مواكبتها للأحداث التي أعقبت الثورة الصناعية وما تلاها بعد ذلك من عملية التطور والبناء المعرفي فأدى ذلك إلى ازدهار مصر، وكانت رائدة بمعنى الكلمة وفي ميادين عدة ومن أهمها الجانب التعليمي والصناعي، والزراعي، والاقتصادي....

وكل تلك الإنجازات تحققت عن طريق البناء المعرفي للإنسان وأدت إلى تطور مصر وصعودها إلى سلم الرقي الحضاري بعد الإصلاحات المختلفة التي حدثت ومنها ما قام به في عهد نابليون (ت ١٨٢١م)، وكذلك التطور الذي حدث في عهد مؤسس نهضة مصر الحديثة محمد علي باشا من خلال عمل الإنجازات المختلفة وارساله بعض البعثات إلى فرنسا في تلك الفترة ومن هنا استطاعة مصر أن تحتل مكانة رفيعة علمية، وصناعية، ودفاعية، واقتصادية، وبعد الخمسينيات من القرن العشرين تراجعت مصر ووهن عظمها.....

فقد كانت مصر تمضي قدما نحو الأمام من خلال استفادتها الحقيقية من منجزات الحضارة الحديثة التي تفجرت بعض معالمها في الدول الأوروبية المختلفة وخصوصا الاستفادة من بعض خبرات ومنجزات الجمهورية الفرنسية أثنا الحملة التي قام بها الفرنسيون بقيادة نابليون بونابرت على مصر عام ١٧٩٨م[١] حيث(... أحدث وصول

---

[١] لا نريد أن نذكر بعض العوامل السلبية والأهداف الحقيقية المختلفة للحملة الفرنسية التي جاءت إلى البلاد العربية من أجل التنافس الاستعماري مع البريطانيين....، و نتوسع كثيرا في سرد بعض الوقائع المؤلمة وذكر ما آلت إليه الأمور العكسية بعد ذلك فتلك الدولة الفرنسية أو البريطانية أو الإمبراطورية الأمريكية حاليا وغيرها من الدول تحكمها لغة المصالح المادية وتجري وراء توفير الطاقة اللازمة لتأمين احتياجاتها ومواردها الحيوية. والأمر الثاني أن الهدف من ذكر العوامل الايجابية نهوض مصر وكيف استفادت من عوامل التحديث ومنجزات الحضارة الحديثة وللأسف الشديد لم يكن لها تخطيط سليم بعد ذلك في طريقة المحافظة الحقيقة على التفوق المبدئي الذي

الفرنسيين إلى مصر هزة عنيفة أيقظت المصريين من غفوتهم وأخرجتهم من هدوئهم الذي دفنوا أنفسهم فيه ليكتشفوا وجود قيم أخرى وتذكرهم بأن لهم شأناً كبيراً في الماضي وأنهم كانوا في طليعة الأمم ذات الحضارة، وقد عبر جومار(jomard) العالم الجغرافي الذي حضر مع الحملة الفرنسية... عن هذه الفكرة قائلاً: ((جاءت فرنسا لتحرر مصر من عبودية المماليك لكنها أيضاً على تخليصهم من آفة أخرى وهي الجهل ونشرت نور العلم والحضارة التي تلقتها من الشرق السابق))...)[1] بعد أن كانت بعض عوامل التأخر الحضاري الصناعي والابتكار العلمي الحديث قائمة في مصر ومعظم الدول العربية والإسلامية والتقدم

حدث في مصـــر ولا نريد أن نخوض في تفاصـــيل الحروب التي خاضـــها محمد علي والأطماع المختلفة التي سعى إليها **فقد** (... ساندت فرنسا مشروع محمد علي التحديثي طوال عقود عدة في إطار صراعها مع بريطانيا، التي خاضت معركة شرسة لضرب الأهداف الإستراتيجية للتحالف الفرنســي المصــري. فقد أدرك الإنجليز أن نجاح محمد علي في توحيد الســلطنة على الأســس التحديثية التي قام بها في مصر سيشكل انتصارا لنموذج التحديث الفرنسي بالدرجة الأولى. إلا أنها كانت على اقتناع تام بأن فرنسا لن تسير في هذا التحالف حتى النهاية. فهل تسمح فرنسا لمصر بتوحيد السلطنة على أسس حديثة في وقت عمل فيه الفرنسيون على تفكيكها بالقوة العسكرية؟ وما هي مصــلحة فرنســا من إقامة دولة مركزية قوية تهدد مصــالحها الكثيرة في هذه المنطقة؟ وخرج الإنجليز باستنتاجات موضوعية ترى أن مساندة فرنسا لوالي مصر في حروبه ضد السلطنة لا تتعارض مع الاستراتيجية الأوروبية الشمولية لإضعاف السلطنة من الداخل. أما دعمها لمحمد علي فرهن بالظروف العامة لتطور الأحداث، وهي على استعداد للتخلي عنه في الوقت الملائم. وصدقت توقعات الإنجليز بعد أن استدرج محمد علي إلى حرب شرسة ضد السلطنة، أوصلته إلى أبواب الآستانة، وبعد أن تألبت عليه قوى داخلية مدعومة مباشرة من الإنجليز. نتيجة لذلك هزم الجيش المصري، وتخلت فرنسا عن مشروع محمد علي الرامي إلى توحيد السلطنة بالقوة العسكري. لكنها ساعدته على الاحتفاظ بمركز حكمه على مصر والسودان، له ولأسرته الخديوية من بعده...) **د/ مسعود ظاهر**، النهضة العربية والنهضة اليابانية تشابه المقدمات واختلاف النتائج: عالم المعرفة، الكويت العدد، ٢٥٢، ص، ١٢٩ . ١٣٠

[1] جي فارجيت، محمد علي مؤسس مصر الحديثة، المركز القومي للترجمة القاهرة، ط، الثانية ٢٠٠٨م، ترجمة محمد رفعت عواد، ص، ٩١

العلمي بمختلف أنواعه ووسائله الحضارية والحديثة بالمعنى الحقيقي لم يتم تطويره في تلك الفترة بالطريقة التي حدثت في الدول الصناعية الكبرى التي أخذت تتبوأ المكانة العلمية المرموقة وتدخل ميدان الاختراعات المختلفة وعلوم التكنولوجيا المتطورة، وقد كان هذا المنهج العلمي الحديث بعيد المنال عن الدول العربية في ذلك الوقت العصيب.

وفي هذا المحور سنحاول التحدث عن بعض الجوانب التي ساعدت مصر على عملية البناء المعرفي وازدهارها مما أهلها لتكون في مرحلة متقدمة من خلال عملية التطبيق العملي لكل ما تم تنظيره ووضع الخطط الحكيمة لنهضة مصر، ومن بين تلك العوامل التي ساهمت بطرق مختلفة إلى نهوض مصر وازدهار نهضتها الحديثة الآتي:

أولاً: التعليم ودوره في رقي مصر معرفيا.

منهج التعليم بمختلف أنواعه يُعّدُ من الركائز الأساسية لرقي الأوطان وازدهارها وبناء طريق المعرفة وتطوير اساليبها من الوسائل المهمة التي تساعد الدولة على تقديم كل جديد للوطن ومصر كانت في عهدها الذي ازدهرت فيه معالم انجازاتها المختلفة آخذة من الدول التي حاولت أن تدخل في ميدان الريادة والمنافسة بالعلوم الحديثة من خلال بناء المعرفة وتطوير مناهج التعليم ليواكب متطلبات العصر الحديث.

ففي ظل التطورات العالمية وظهور حضارة إنسانية جديدة التي فرضت نفسها على أرض الواقع العالمي كان لابد لمصر من إرساء قواعد البناء والتأسيس المعرفي من خلال الاستفادة من الابتكارات التي تم اكتشافها والاختراعات العلمية المختلفة التي ظهرت للمجتمعات علانية، فاستطاعت مصر في زمن محمد علي أن تهتم بمبادئ التعليم الحديث من خلال إرساء أهم قواعد البناء والتأسيس المعرفي بدأ من إنشاء المدارس، وقد اتجه فكره إلى الاستفادة الحقيقية من الخبرات والكفاءات العلمية الأجنبية، فعندما تولى محمد علي مقاليد(... حكم مصر عام ١٨٠٥م. عمل جاهدا على إنشاء المدارس المختلفة والتوسع في إقامة نظم تعليم حديثة، إضافة إلى ذلك قام باستجلاب الخبرات المختلفة وأتى بالمعلمين من أوروبا...)[١]

---

(١) مؤمن المحمدي، الباشا محمد علي الكبير باني مصر الحديثة، كنوز للنشر والتوزيع، قصر النيل القاهرة رقم الإيداع ١٧٠٤٥/ ٢٠٠٨م،ص،٦٨ (بتصرف)

فهذه الطريقة تعتبر خطوة من الخطوات المهمة والجيدة التي مهدت للنهوض الحضاري لمصر وبدورها ساعدت على تشييد وبناء الطريق الفعال لازدهار مصر معرفيا وحضاريا، كل ذلك كان من خلال تفعيل نظام التعليم وسعي من كان قائما على حكم مصر ومعاونيه في مختلف المجالات على الاستفادة من منجزات الحضارة الإنسانية.

ففي تلك الفترة كان للعوامل الإصلاحية لحاكم مصر الجديد الدور الحقيقي الذي ساعد على عملية التطور والتحديث اللتين ساهمتا مساهمة جدية وفعلية على نهضة مصر فقد(... انصرف فكر محمد علي إلى تشييد أسس النهوض ثم البناء، أي بناء القوة، والعلم، والمال، وفتح أمام مصر والمصريين آفاقا واسعة ورسم لهم مثلا عليا حملهم إلى التطلع إليها والسعي معه لبلوغها...)[٢] إلى عمل جماعي مشترك بين القائد والشعب، هذا يساهم بفكره والبعض الآخر يعمل بقوة ساعده الجسدي، والهدف من كل هذا بناء مصر الحديثة تحت راية واحدة وهذا الذي(... رسمه لهم القائد محمد علي عندما قال للمصريين (ما كان ينبغي أن تسعى إليه أمة ناهضة في ظل حكومة واحدة تقضي على تشتت السلطان وتوحد عناصر الأمة جميعا وتدفعها إلى البناء والتعمير...)[٣] بعد أن أخذت الخطط المختلفة تُفعل على أرض الواقع وتحققت بعض الإنجازات المختلفة والنجاحات المبدئية التي كانت ترمي إلى عملية التطوير والبناء الحضاري لمصر.

وقد توالت الأحداث المختلفة نحو التقدم والازدهار في مصر من أجل النهوض بها وتعليم شعبها العلوم التي مكنتهم من التأقلم مع مجريات الأحداث في تلك الفترة التي ازدهرت معالمها ومن المعالم التي تحققت على ارض الواقع بمصر فبعد أن كان (...ديوان المدارس أي تنظيمها تابعا لديوان الجهادية، في بداية عهد إنشائها، وكانت الجهادية تتولى أمر المدارس والإشراف عليها ... أمر محمد علي بتأليف مجلس عام للنظر في تنظيم المدارس عام ١٨٣٦م برئاسة أحد رؤساء البعثات العلمية إلى فرنسا، وهو مصطفى مختار الذي

(٢) د/ أحمد عزت عبدالكريم، تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد علي إلى أوائل حكم توفيق ١٨٤٨ ـ ١٨٨٢ م، الجزء الأول، وزارة المعارف العمومية، مطبعة النصر ٢٢٢ شارع فاروق مصر، ص، ٤ (بتصرف)

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة (بتصرف)

تخصص في دراسة الفنون الحربية وعلى يديه ولدت أول وزارة للمعارف في مصر والعالم العربي....)[٤] وهي بمثابة الوقود الذي أشعل نور المعرفة وأضاء ساحتها العلمية في تلك الفترة الذهبية، وتعُد من الأمور المهمة للاستفادة الحقيقية من منجزات الحضارة الحديثة العلمية، إضافة إلى ذلك كانت من الخطوات البناءة لرقي الأوطان وازدهار البلدان وقد لمس ذلك جليا في القارة الأوروبية وغيرها من القارات التي أصبحت تتطور شيئا فشيئا إلى عالم بناء المعرفة الحديثة.

الجدير بالذكر أن تلك المهمة العلمية شارك فيها نخبة من المتعلمين المجيدين تعليما ناضجا فقد (...ضم المجلس في عضويته عدد من أكابر المصريين ونظار المدارس العليا ونتج عن ذلك مناقشات المجلس توصيات وضعت موضع التنفيذ، حيث أشار المجلس بتقسيم التعليم إلى ثلاث مراحل: هي الابتدائية والتجهيزية والخصوصية، وأشار المجلس بتوزيع المدارس على الأقاليم حسب عدد السكان، مع إنشاء مدرستين تجهيزيتين في القاهرة والإسكندرية .....)[١] كون المدينتين من الأحياء الراقية التي يقصدها الكثير من المصريين والبداية كانت من المدينتين وبعد ذلك تبعتها إجراءات أخرى عمت بعض المدن المصرية كل ذلك بهدف بناء المعرفة للمواطن المصري من خلال عملية التعليم والتوسع في باقي المدن والأحياء المصرية.

فمصر في تلك الفترة كانت بأمس الحاجة لتجديد أفكار بعض أبنائها بهدف التكيف مع مجريات الأحداث العالمية، وكان طلب العلوم العصرية في ذلك الوقت ضروريا من أجل مواكبة مراحل العلم الحديثة والاعتناء بوسائل الارتقاء المعرفي المختلفة فبعد الاهتمام(... بالطباعة باعتبارها أهم وسيلة لنقل علوم الحضارة والثقافة الأوروبية اتجه محمد علي بعد ذلك، وعكف على إقامة المدارس، وإنشاء ديوان خاص بها...)[٢] وبعد تلك الخطوة عمت المدارس التي أنشأها وتم اخذ الإجراءات اللازمة حيث (... شملت كل مراحل التعليم من

---

(٤) مؤمن المحمدي، الباشا محمد علي الكبير باني مصر الحديثة، مرجع سابق، ص، ٦٧ (بتصرف)

(١) المرجع السابق نفس الصفحة (بتصرف)

(٢) المرجع السابق، ص ٦٥

المرحلة الأولية والثانوية، والتعليم الخاص وكان التلاميذ يساقون قسرا إلى المدارس بعد إجبار أولياء أمورهم ولو أدى الأمر إلى انتزاعهم بالقوة، هذا على الرغم من المغريات التي بذلتها الدولة في تلك الفترة التي أخذت تزدهر يوما بعد يوم، وكل ذلك كان من أجل ترغيب الأهالي لتعليم أولادهم...)[٣] وإبراز جيل من الشباب المصري بحيث يكون متسلحا بسلاح العلم متجاوزا عقبات الجهل والتأخر المعرفي في تلك الفترة ،وقد كانت المدارس في ذلك العصر تعتبر مفتاحا الدخول لعصر العلوم الأولية محو الأمية الأبجدية في بداية الأمر، وبعد ذلك توسعت مدارك المتعلمين وبدأوا يشقون طريقهم لاحقا نحو طريق العلوم المختلفة في مصر وخارجها عندما فتح المجال العلمي للمصريين واتسعت آفاقه .

ولم تهمل حكومة محمد علي أبان ازدهار حكمها لمصر بقية الحقوق للمتعلمين أو أنها تراخت عن الاهتمام الحقيقي بهم بجانب دعمها المادي لهم، فقد حرصت الحكومة على الاعتناء بالجانب المادي للمتعلم لما له من أهمية عظيمة في عملية التشجيع على العلم والتعلم، وتكملة لذلك المعروف عكفت الحكومة المصرية على توفير بعض السبل التي تكفل للمتعلمين بعض سبل الاستقرار النفسي والحسي، وقدمت لهم طرق الراحة المختلفة من أجل الاهتمام بالعلم والارتقاء بالمعرفة.

كل ذلك العمل لكي يستفيد المتعلمون من المزايا الكثيرة التي منحتها حكومة محمد علي للطلبة المصريين فاهتمت بهم عندما كان الطلبة يتلقون علوم الدراسة فقد (... كانت المدارس تتولى إيواء التلاميذ، وإطعامهم وتقدم لهم أيضا الملابس، والرواتب الشهرية...)[١] من أجل سد حاجاتهم المادية، وتلك الخدمة الجليلة من قبل الحكومة المصرية تعتبر من الأمور المهمة التي كانت عاملا محفزا لتفوق الطلبة المجيدين، وكانت بمثابة العامل المساعد أعطى الطالب قدرا واسعا من عملية الاهتمام الجدي بالتعليم، وبتلك الطريقة لحكومة محمد علي أيضاً خففت من معاناة الطلبة ماديا وتحملت الحكومة النفقات الضرورية للمتعلمين.

---

(٣) المرجع السابق نفس الصفحة (بتصرف)

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة (بتصرف)

وقد استفادوا من الخطة التعليمية التي رسمت لهم من قبل محمد علي الذي كان يهدف إلى تعميم المصلحة العامة للشعب المصري بحسب وجهة منظر خططها المتنوعة، وربما كان البعض من المصريين أو الغالبية العظمى منهم قد أحس بالمزايا المختلفة التي قدمتها الحكومة للشعب المصري فكما قال: محمد على في أحد خطاباته وبعض توجيهات أوامره التي خاطب بها رجاله: (... إن القصد من إنشاء هذه المدارس هو تعليم وتثقيف أبناء العباد...)[٢] من الشعب المصري الرجال منهم والنساء فالعلم حق لجميع أفراد الدولة ويشمل الجنسين، ولا ريب أن كليهما أبدعا إبداعا حقيقيا في عملية البناء والتطوير لمملكة مصر وساهما بطرق مختلفة في نهوض مصر حضاريا، وقد كان ذلك التعبير بشأن عملية التعليم والتثقيف قد صدر عن حاكم مصر في تلك الفترة وبعض الوقائع الحية شاهدة على ذلك.

ثانياً: الثمرة الحقيقية لتعلم العلوم المختلفة.

من الأعمال المهمة والايجابية التي عمل على ترسيخها محمد علي باشا حاكم مصر سابقا الانتفاع الحقيقي من عقول المصرين التي أهتم بها للاستفادة منها من أجل مواكبة التطورات والتغييرات المختلفة التي أنتجتها الحضارة الحديثة وحدثت نهضتها في بعض الدول، وكانت تتجه نحو عمل المزيد من عوامل التقدم والنمو، فبعد عملية التمهيد للعلوم المختلفة التي أسس أركانها محمد علي انعكست عوامل تلك العلوم إيجابيا على مملكة مصر، حيث استفادت المملكة الصاعدة من أفكار أبنائها، ومن ضمن تلك الفوائد المهمة التي جنتها مصر (.... الانتفاع الحقيقي بعقول بعض النابهين المصريين من طلبة الجامع الأزهر مع

(٢) أحمد عزت عبدالكريم، تاريخ التعليم في عصر محمد علي، مطبعة الاعتماد مصر، ط، بلا، ص،١٥٩

طلاب المدارس النظامية وإرسال بعض هؤلاء في بعثات علميه إلى أوروبا...)[١] التي كانت نهضتها العلمية بمثابة الوقود الحقيقي الذي أشعل شرارة التطورات الحديثة في بعض نواحي المعمورة وأضاء لها بعد ذلك حركة التقدم العلمي والابتكار المعرفي وقد استفادت مصر من تجربة النهضة العلمية.

والمنهج الايجابي الذي اتبعه محمد علي كان يهدف وبدرجة كبيرة إلى الاستفادة الفعلية من العلوم الحديثة التي أخذت تشق طريقها في تلك الفترة إلى الآخرين محدثة الانفجار المعرفي للبشرية (...فلم يكتف محمد علي بتأسيس المدارس والمعاهد العلمية في مصر ليتلقى المصريون العلوم التي تنهض بالمجتمع كله، بل فكر في أهمية نقل معارف أوروبا وخبرة علمائها ومهندسيها ورجال الحرب والصناعات فيها بشكل مباشر من خلال وجودهم في مصر. وقد كان هدف البعثات الأولى الخارجية تكوين كوادر من المعلمين المصريين في المدارس العليا، وتدريب قادة للجيش والبحرية، وتأهيل مهندسين قادرين على نشر العمران...)[٢] وتعميمه على كافة المناطق والمدن بمصر الواسعة الانتشار، كل ذلك كان وفق أسس علمية وقواعد معرفية قوية ومتينة تستطيع بعد الاعتماد على نفسها ومواكبة الأحداث التي أخذت تظهر تباعا في ظل التطور العلمي والتقدم التقني الذي شهدته معظم دول العالم.

إضافة إلى ذلك تكونت بمصر الحديثة حضاريا بيئة علمية متخصصة من المصريين تحمل أفكارا جديدة، خصوصا لمن تم ابتعاثهم، وعندما تكونت عقول المصريين علميا وعادت إلى أرض مصر استطاعت بعد ذلك أن تشيد أركان البنيان العلمي والعملي في أرجاء مصر وتطورت مجالات المعرفة المختلفة بأيادي مصرية ماهرة.

فبعد عودة المبتعثين من الدول الأوروبية رجعوا حاملين معهم بشائر الخير إلى مصر من خلال الاستفادة من أهم العلوم التي أخذوها من دول الحضارة الإنسانية الحديثة، فالبعثات التعليمية التي أرسلها محمد علي كان قد وجه بوصلتها إلى(... أوروبا في

---

(١) مؤمن المحمدي، الباشا محمد علي الكبير باني مصر الحديثة، مرجع سابق، ص،٦٤ (بتصرف)

(٢) المرجع السابق، ص،٧٠ (بتصرف)

عام ١٨٠٩م وقد كانت إلى بعض المدن الإيطالية[١] وتلتها بعد ذلك بسنوات بعثة ثانية في سنة ١٨١٣م إلى ايطاليا أيضا للدراسة في فن الطباعة، وسبك الحروف،...)[٢] التي

(١) قبل أن يرسل محمد على البعثات إلى إيطاليا كان للإيطاليين دور في مصر (... فانطلاقاً من القرن التاسع عشر بدأ الإيطاليون يتوافدون إلى مصر خاصة مدينة الإسكندرية وظلت مصر طوال القرن التاسع عشر وحتى الربع الأول من القرن العشرين بلد المهجر الأول للإيطاليين حث هاجر أكثر من ٢٧ مليون إيطالي لأسباب سياسية واقتصادية منذ عام ١٨٠٠م في ظاهرة عُرفت باسم الشتات الإيطالي، وكانت أكبر موجات الهجرة إلى مصر الأولى. تكونت من حوالي خمسة آلاف إيطالي معظمهم من الصفوة المثقفة الذين هربوا من الاضطهاد السياسي أثناء كفاحهم من أجل استقلال إيطاليا ووحدتها؛ حيث باءت مجهوداتهم بالفشل، وصادف وقت هجرتهم بداية حكم محمد علي باشا الذي بدأ خُطَطَ التحديث في البلاد وعمل على الانتفاع بالخبرات الأجنبية في المناحي المختلفة، لذلك وَفَّر لهم الحماية وبدأ بالفعل الانتفاع بخبراتهم في جميع المجالات، حتى أن مصمم مدينة الخرطوم بالسودان كان إيطاليا. أما الموجة الثانية: فكانت بعد الوحدة الإيطالية عام١٨٦١م بسبب الركود الاقتصادي، وفي ذلك الوقت سارع الخديوي إسماعيل في مشروعه الذي تطلع من خلاله إلى إضفاء طابع أوروبي على مصر، فاستفاد بالخبرات الإيطالية في مشاريعه التي جذبت المعماريين، والفنانين، والتجاريين، فضلاً عن العمال وأصحاب الحرف. هكذا مَثَّل الإيطاليون ثاني أكبر الفئات الأجنبية المقيمة في مصر حتى الربع الأول من القرن العشرين بعد الجالية اليونانية، ففي حين عاش حوالي ١٨,٦٦٥ إيطاليًا في مصر عام ١٨٨٢م، وصل هذا العدد إلى ٣٤,٩٢٦ عام ١٩٠٧م، ومع ازدياد توافدهم إلى مصر في مطلع القرن العشرين وصل تعدادهم عام ١٩٢٧م إلى ٥٢,٤٦٢ إيطالًيا، فكانت الزيادة بين عامي ١٩١٧م حتى عام ١٩٢٧م تقدر بحوالي ١٢٢٪، هكذا أصبح الإيطاليون حوالي ٢٥٪ من الأجانب المقيمين في مصر، والذين أقام منهم نسبة ٦١٪ في مدينة الإسكندرية وحدها. إلا أنه منذ عام ١٩٣٨م بدأت أعداد الإيطاليين تتراجع باطراد حتى وصل عددهم عام ١٩٤٧م إلى ٢٧,٩٥٨، وكان هذا التراجع يرجع أولاً، إلى دخول إيطاليا الحرب العالمية الثانية ضد بريطانيا الحليف الرسمي لمصر، لهذا تم قطع العلاقات بين مصر وإيطاليا واعتقال الكثير من الإيطاليين ومصادرة أملاكهم، وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م بدأت القيادة الجديدة في تصفية الوجود الأجنبي في البلاد وتحرير الاقتصاد من السيطرة الأجنبية خاصة بعد معاهدة الجلاء عام ١٩٥٤م....) لمعرفة المزيد عن دور الإيطاليين في مصر خصوصا في مدينة الإسكندرية راجع، أحمد سالم، إسكندرية ... الإيطالية،...) بحث منشور بمجلة ذاكرة مصر المعاصرة، العدد: التاسع . ابريل ٢٠١٢م، مكتبة الإسكندرية، ص،٦١

قدمت خدمة جليلة للمصريين وأثمرت طرق الاستفادة منها فيما بعد، حيث تحققت نتائج مهمة أهدافها بناءة وآتت أكلها بعد الاستفادة الحقيقية لمن تم ابتعاثهم لاغتراف العلوم الحديثة من علوم الدولة الإيطالية.

ثالثاً: مصر وتقدمها الحقيقي في مجال المعرفة:

لم يكتف صناع القرارات المهمة وراسموا السياسات المختلفة بمصر التوجه إلى مكان واحد وعلى رأس هؤلاء محمد علي عندما كان حاكما لها في الفترة الماضية وعلى إرسال البعثات العلمية إلى ايطاليا فحسب، بل تغيرت وجهة المبتعثين إلى أماكن ودول أخرى بهدف تطوير المعرفة والتزود بعلوم أكثر تلاءمًا مع التطورات الحديثة والأمر الأخر أن عملية الاهتمام الحقيقي الذي أولاه محمد علي باشا للمتعلمين المجيدين من أهل مصر كانت تسعى للتوسع أكثر لنيل المعرفة.

فاتجهت أفكاره في تلك الفترة إلى تحويل البعثات العلمية إلى ناحية أخرى فقد(....تحولت البعثات العلمية إلى فرنسا حيث تأسس أول مكتب مصري للبعثات في باريس عام ١٨٢٦م وتكونت البعثة من ٤٤ عضوا في العام ١٨٣٣م...)[١] وقد كان لتلك البعثات العلمية والتخصصات المختلفة والاتجاهات المتنوعة للمبعوثين شأن عظيم في تطور الحياة المصرية علميا فأثبتت بعد ذلك قدراتهم العلمية والعملية على تقديم المنفعة العامة للشعب المصري.

كل ذلك حدث بعد أن رسخت أقدام المبتعثين واستجابت على تلقي العلوم المختلفة بتخصصاتها المتفرعة فتلك(...التخصصات العلمية التي درستها البعثات العلمية

---

(٢) مؤمن المحمدي، الباشا محمد علي الكبير باني مصر الحديثة، مرجع سابق، ص٦٨، (بتصرف)

(١) المرجع السابق، ٦٨ (بتصرف)

المصرية شملت عدة تخصصات مهمة منها العلوم: العسكرية، والهندسة، والطب، والجراحة، والميكانيكا والكيمياء، والزراعة، والتاريخ الطبيعي...)[٢] ومعظم تلك التخصصات العلمية بصبغتها المتطورة والحديثة التي تعلم مبادئها بعض المصريين الذين تم ابتعاثهم إلى فرنسا، لا ريب أنها قد أحدثت نقلة كبيرة في عملية الاستفادة من علوم وخبرات الآخرين من حيث عملية التطوير أو البناء من جديد على أسس علمية.

وقد استطاعت مصر اللحاق بعالم التقدم الحديث و تحقق عملية الصعود الحضاري بعد أن وضعت الأسس التي فُعلت طرقها المختلفة وساهمت بتقدم حضارة مصر، ورقي شعبها في بعض الفترات التي كانت في العهد الملكي، وكذلك استطاعت مصر تخطي بعض الصعاب في العهد الجمهوري(... فقد استطاعت مصر من خلال بعض الإجراءات التي تم اتخاذها أن تحقق نسبة نمو من عام ١٩٥٧ ـ ١٩٦٧ بلغت ما يقرب من ٧٪ سنويا ... وهذا يعني أن مصر تمكنت في عشر سنوات من عصر عبدالناصر أن تقوم ببناء تنمية تماثل أربعة أضعاف لم تستطع مصر أن تحققه في الأربعين سنة مضت، وقد زاد عدد الشباب في المدارس والجامعات والمعاهد العليا بأكثر من ٣٠٠٪ ...)[١] وهي نسبة مرتفعة تفوق المعدل الطبيعي، لكن في عصرنا الراهن عادت مصر مرة إلى الوراء بعد أن تصدر منهج الفساد والإفساد والاستبداد مشهد واقع الحياة المصرية العامة بمصر مع نمو المنهج المبرمج لطرق التدخلات الخارجية المختلفة من قبل الدول الحاقدة على عودة مصر في وقتنا المعاصر مرة أخرى أن تكون دولة قوية علميا وعمليا.

رابعاً: ازدهار الاقتصاد المصري:

(٢) المرجع السابق نفس الصفحة (بتصرف)

(١) رضوان طارق، عام الحسم السادات والناس مصر ٧١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٥م، ص، ٦٢ و ٦٤ (بتصرف)

كل ما تم ذكره سابقا عن العوامل التي ساعدة مصر الانتقال إلى عالم المعرفة من خلال التعليم الذي مهد لعملية الانطلاق إلى تطوير مصر من خلال الاستفادة الحقيقية من عملية البناء المعرفي فشقت مصر طريقها إلى عالم الازدهار والابتكار والتطور والتقدم في جوانب العلوم والحياة المختلفة منها على سبيل المثال لا الحصر الاقتصادية والصناعية والزراعية ومن تلك الجوانب للتقدم التي حدثت في مصر الآتي:

أولاً: بناء المصانع وتطويرها:

إن عامل الصناعة والتطوير الصناعي يعتبر من الأسس المهمة التي قامت عليها نهضة مصر وأفرزت نتائج ايجابية للمجتمع المصري، عندما كان في تلك الفترة مبنية ومنصبة على إقامة المصانع وتطوير بعض الصناعات المهمة التي كانت مصر بحاجة إليها(...فكما كان اهتمام محمد علي الجدي بالتعليم بمصر بمختلف أنواعه، وبالزراعة، فقد اهتم أيضا بالصناعة التي تطورت تطورا كبيرا في عهده والتي أصبحت ثاني عماد للدولة المصرية بعد التعليم بكافة أشكاله وبخاصة الحربية لمواكبة الأنظمة التي كانت موجودة في أوروبا...)[٢] بحكم أنها كانت تلك الدول مهتمة بعملية التطور العلمي فقد ابتكرت بعض الصناعات الحديثة المختلفة الاتجاهات والمتطورة صناعيا.

وربما كانت بعض الصناعات حكرا على دولها أيضا ولا تسمح بتصديرها إلى الدول الأخرى، لكن مملكة مصر انتبهت مبكرا لذلك الأمر واستفاقت من عملية الاحتكار لكي (...لا تعتمد على جلب كافة احتياجاتها من الخارج الأمر الذي سيجعلها تحت رحمة الدول الكبرى من ناحية واستنزاف موارد الدولة من ناحية أخرى...)[٣] لكن حكمة ورؤية حاكم مصر في تلك الفترة كانت مغايرة حيث سعت جاهدة على تقوية الذات

(٢) مؤمن المحمدي، الباشا محمد علي الكبير باني مصر الحديثة، مرجع سابق، ص المرجع السابق،ص،٧٧ (بتصرف)

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة (بتصرف)

المصرية علميا وعمليا والاستفادة من الإمكانيات المختلفة التي كانت موجودة في مصر.

لقد كان لدى قيادة مملكة مصر بعض الجوانب التخطيطية المهمة التي أغنتها بعد ذلك عن عملية الاعتماد الكلي على الآخرين واستيراد كافة الاحتياجات منهم، فقد كان بمصر الموارد المختلفة التي تمكنها من الاستقلال وتعينها على عملية التصنيع المحل والتطوير في المجالات الصناعية(...فمعظم الخامات المستخدمة في الصناعات كانت موجودة فعلا بمصر، هذا فضلا عن توفر عنصر الثروة البشرية...)[١] التي تتميز بها مصر قديما وحديثا، وعلى ضوء تلك المبادئ المهمة للتطور الحديث مبادئ توفر الثروة المادية متوفرة والعناصر البشرية الماهرة منها وغير الماهرة، ففي النهاية الكل مكمل للآخر عقليا وجسديا(... وهكذا تم إنشاء العديد من المصانع وكان أول مصنع حكومي بمصر افتتح هو مصنع الخرنفش للنسيج وقد كان ذلك في سنة ١٢٣١هـ / ١٨١٦م ثم بدأ عمل إنشاء المصانع يتوالى تباعا سواء أكانت الحربية أو غيرها...)[٢] من المصانع التي كانت تخدم الدولة المصرية وساعدتها بطرق مختلفة على تخطي بعض الصعاب التي كانت تعترضها، فمصر كانت في بداية نهضتها ولابد من أن تواجه معوقات في بداية النهوض والتفكير بعمل المصانع المختلفة، وتشغيلها بعد ذلك وفق خطط مدروسة وضوابط عملية محددة هدفها تحقيق العوامل الايجابية لمصر والمصريين.

وكما هي الحالة المثالية بالنسبة لمن يريد أن يتطور ويتقدم لابد له بطبيعة الحال الاستفادة من الخبرات والاستشارات المختلفة فمحمد علي في طور عملية التمهيد لنهضة مصر عكف على ذلك واستعان ببعض الخبرات كما ذكرنا سابقا في بعض مجالات التطور المعرفي، وكذلك الحالة في التخصصات التي كانت تهتم في مجال

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة (بتصرف)

(٢) المرجع السابق،ص،٧٧و٧٨ (بتصرف)

الصناعات فعمل(... محمد علي إلى اتباع سياسة خاصة للنهوض بعمل تلك المصانع التي أنشأها في فترة حكمه، بدأها أولا باستقدام الخبراء والصناع المهرة من الدول الأوروبية لتخرج بعد ذلك إلى عالم الابتكار والتطوير كوادر مصرية من رؤساء وعمال وصناع فنيين وإحلالهم محل الأجانب بالتدرج...)[٣] بعد عملية اكتساب المهارة اللازمة لعملية إنشاء المصانع وتشغيلها من قبل المصريين، وكل ذلك حدث بعد أن أُخذت العلوم المفيدة من الخبرات وقد أتقن أولئك الذين أوكلت إليهم المهمة للاستفادة من علوم الخبراء المختلفة في عملية إنشاء وتشييد المصانع.

ولم تكن المصانع التي كان يراد إنشاء معالمها على أرض الواقع في الدولة المصرية لا يرجى منها فائدة، وكذلك لم يكن لتفعيل الصناعات المختلفة مجرد مصانع عبثية ليس لها أهداف مستقبلية، بل كلا الجانبين من عملية الإنشاء وتشييد الصناعات، كانت لهما أهداف منشودة والحكومة المصرية كانت تنظر إلى المستقبل من خلال الاستفادة من إنشاء المصانع والصناعات المختلفة المعول عليها، فعملت على تحديد أهداف كل مصنع وتقسيمها حيث(...قسمت الصناعات الجديدة التي أدخلها محمد علي باشا في مصر إلى ثلاثة أقسام، فالقسم الأول اشتمل على الصناعات التجهيزية وقد تمثلت تلك الصناعات في صناعة آلات حلج وكبس القطن، وفي مضارب الأرز ومصانع تجهيزية، إضافة إلى ذلك مصانع تجهيز النيلة لعملية الطبخ، ومعاصر الزيوت، وكذلك إنشاء مصانع لتصنيع المواد الكيماوية، كما قام محمد علي باستبدال الطرق البدائية في الصناعة وأدخل بدلا منها الآلات الحديثة في طور ابتكارها سواء أكانت الميكانيكية أو التي تدار بالة البخار أو المكابس...)[١] في تلك الفترة التي شهدت تحولات تدريجية مختلفة وساهمت في تنويع مصادر الدخل و الإنتاج في مصر التي كانت تخدم الشعب

(٣) المرجع السابق،ص،٧٨ (بتصرف)

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة (بتصرف)

والدولة مما جعلها دولة لديها إمكانيات مختلفة للتطور والابداع من خلال عالم المعرفة الحديثة.

ثانياً: التطور العسكري المصري.

لقد كانت هناك بعض البوادر الايجابية في صناعة المواد التي تدخل في العمليات العسكرية وكانت منتجة ولو بطريقة بسيطة في تلك الفترة ، لأن الوضع الصناعي المحلي بمصر كان في طور المهد والإنشاء المعرفي وبطرق علمية حديثة، فالصناعات المصرية التي دخلت تحت باب التصنيع العسكري كانت (...تعدّ للجنود الكساء والذخيرة، وما إلى ذلك مما تنتجه ترسانة القاهرة، كما نتج عنها تصنيع العجلات وعربات للمدافع (ويصنع في الشهر نحو تسع من كل نوع)، وكذلك صناعة صناديق الذخيرة...)[٢] بطرق حديثة مكنت مصر في تلك الفترة ولو كان ذلك بشكل جزئي من أن تتطور صناعاتها في المجال العسكري فقد كان (... متوسط ما ينتجه مصنع الأسلحة بالقلعة من البنادق (بسنكاتها) من ٢٤ إلى ٢٥ بندقية في اليوم الواحد أي ما يعادل ٦٢٥ في الشهر الواحد،... وبالنسبة للسيوف التي كانت تستخدم في تلك الفترة كان يصنع منها ٢٠ سيفا في اليوم الواحد...)[٣] وصنع هذه الأنواع من الأسلحة العسكرية يعتبر تطورا فعليا في الصناعة الحربية ويصنع محليا في مصر بعد اخذ الخبرات والمهارات من الدول الأخرى وقد انعكس ذلك إيجابيا على الواقع المصري.

وقد ساهمت المصانع في التقليل من عملية الاستيراد للأسلحة المختلفة من خارج مصر(...وفضلا عن مصنع الأسلحة بقلعة القاهرة، فهناك مصنع الحوض المرصود، ومصنع بولاق بالقاهرة وفي استطاعت المصنعين أن ينتجوا كل شهر من غير مشقة ألف بندقية،...ومن الممكن عند الضرورة إنتاج ثلاثة آلاف بندقية في الشهر، إذا دبر

---

[٢] د/ محمد فؤاد شكري، وآخرون، بناء دولة مصر محمد علي، القسم الثاني، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية (القاهرة) ٢٠٠٩ ، ص، ٤٨٣ (بتصرف)

[٣] المرجع السابق، ص، ٤٥٩ و٤٦٠ (بتصرف

الأمر جيدا وعلى الوجه الصحيح ...)[1] ولاريب أن عدد البنادق التي تمت صناعتها محليا وساهم في صنعها الأيادي المصرية الماهرة والمدربة، وغيرها من الأسلحة التي كانت تصنع في مصر في فترة التطور والبناء المعرفي، فتضاعف عددها وتطورت مزاياها المختلفة في عملية الاستخدام العسكري والدفاع عن النفس، عندما كانت مصر تحاول جاهدة لتتسلق إلى المكانة الرفيعة في مجال العلوم الحديثة والصناعات المتطورة لتصل إلى طريق الريادة والصعود الحضاري الحديث.

وأما بالنسبة للأيدي العاملة والأجرة المالية التي كانوا يتقاضونها لبعض الفئات التي كانت مجيدة منهم، حيث يعمل في حقل التصنيع لمختلفة الجوانب التي كانت تتطلبها الصناعة المخصصة لهم محليا عدد من الأفراد بمختلفة وظائفهم المهنية وبحسب ما يتطلبه التخصص في عملية التصنيع من أفراد منهم من كان يعمل عاملا والبعض الآخر كانوا يعملون مشرفين عليهم ومراقبين أو خبراء في مجال التصنيع والتطوير العسكري حيث كان (... يشتغل في ذلك القسم ألف عامل. ويقوم حوالي أربعين عاملا بصنع نحو خمسين زوجا من أحذية الجيش في اليوم الواحد. ولكل قسم مراقب ووكيل وموظفون، كما أن هناك مراقبين ومراجعين للحسابات ويمنحون جميعا رتبا عسكرية...)[2] مختلفة بحسب عامل الخبرة المهنية التي كان يتمتع بها العامل والإجادة العملية له في طريقة التصنيع حيث كانت (...تدفع أجور العمال عادة بحساب القطعة الواحدة. وقد علمت أن متوسط ما يكسبه العامل في اليوم ثلاثة قروش، وأن الحد الأدنى قرش واحد، أما الحد الأعلى فستة قروش. وهناك قسم لصنع السرح وقرب الماء وأطقم الخيل وصناديق الخرطوش وغيرها،...)[3] من المواد التي كانت تحتاج لها مواد التصنيع العسكري في مصر فتلك الجهود لمجال الصناعة العسكرية أنتجت قوة مصرية يحسب لها

---

[1] المرجع السابق،ص،٤٦٠ (بتصرف)

[2] المرجع السابق، ص، ٤٨٣ (بتصرف)

[3] المرجع السابق، نفس الصفحة (بتصرف)

ألف حساب بعد أن تدرب أفرادها وأتقنوا بمهارة صنع بعض المعدات العسكرية والآلات التي تخدم المجال الحربي والدفاع عن مصر.

إضافة إلى ذلك العمل البناء للدفاع عن أرض مصر والذي يُعدُ متميزا في مجال التصنيع العسكري وصناعة مستلزمات الأفراد من الرتب العسكرية المتنوعة للعاملين في ذلك القطاع يوجد(... هناك على تلال المقطم مصنع يضم من مهرة الصناع قرابة المائتين من العسكريين وأربعين من المدنيين، يعدون لحساب الحكومة جميع صنوف الأسهم النارية والخراطيش والصواريخ والقذائف وما...)[1] كان يماثلها من الصناعات المختلفة والمواد التي يتم تصنيعها منها كل ذلك اعتمد على الأخذ من الخبرات الأجنبية المجيدة التي أبدعت في عملية التطوير وفق أسس منهجية وعلمية حديثة وتعلم بعض المصرين من تلك المهارات وقد اخذوا من الخبرات العلمية وساهموا بطرق متنوعة على إحياء روح العمل والتطور الفني والتقني للأسلة المتطورة من خلال العمل في المصانع التي كانت تنتح الأغراض العسكرية للدولة.

وإضافة إلى تلك الخطوات المهمة في عمليات التصنيع تم إنشاء(...قسم آخر لصنع المسامير والأفعال والأمشاط وعربات النقل وحدوث الخيل ومحكاتها والصفائح وصناديق الأدوية وغيرها، وهناك ورشة قائمة بذاتها لصنع المسامير، يعمل بها نحو مائتين من الأشخاص يشتغلون في ستين مسبكا للحديد...)[2] التي كانت مصر بحاجة إلى تطور القديم منها، وما كان موجوداً في السابق خصوصا المستلزمات التي كانت تستخدم لبعض الطرق التقليدية في الأمور العسكرية المختلفة منها وهبه الخالق عز وجلا للإنسان وعمل على بعض التعديلات للمستلزمات التي يتطلب توفيرها للخيول مثلا ومعامل الحديد والصلب وهي من المعادن التي يتدخل العنصر البشري للاستفادة في صنع بعض الأشياء المهمة للإنسان.

---

[1] المرجع السابق، نفس الصفحة (بتصرف)

[2] المرجع السابق، نفس الصفحة (بتصرف)

وأخيرا وليس هناك بعض الصناعات قامت في مصر وكان لمنهج التطورات الحديثة في عالم الابتكارات الصناعية المختلفة شأن عظيم في عهد الستينيات من القرن العشرين وكان لها الدور الأبرز في عملية التقدم والتفوق الصناعي على بعض الدول التي تخطت مصر بصناعاتها التي تفوقت عليها وقد عاش المصريون فرحا بالمنجزات التي تحققت فقد (... بدأت جمهورية مصر العربية مع الهند ويوغوسلافيا منذ بداية الستينيات مشروعاً طموحاً لتصنيع الطائرات والصواريخ والمحركات النفاثة والأسلحة، وحتى سنة ١٩٦٧ كانت مصر متفوقة على الهند في صناعة الطائرات والمحركات النفاثة ...)[١] ولكنها وفي ظل عوامل مختلفة داخلية وخارجية تراجعت إلى الوراء وأصبحت دولة تستورد ولا تصدر من صناعة المنتجات الحربية محليا، إضافة إلى ذلك لم تعد جمهورية مصر العربية على ماكانت عليه سابقا من حيث استطاعتها الحقيقية في عملية الإنتاج من الطائرات والمحركات النفاثة وغيرها من الأسلحة كالمدافع وصناعة السفن الحربية.

ثالثاً: الاكتفاء الذاتي من بعض المواد الغذائية.

إن دور عملية الإصلاحات المختلفة التي حدثت في مصر كانت عظيمة، وجوانبها أضحت ملموسة ومشاهدة لدى العامة والخاصة من الشعب المصري فمعظم المجالات التي شهدت عوامل البناء **والتطوير** كانت لها عوامل ايجابية على الدولة المصرية ففي تلك الفترة تمت عملية الإصلاح الزراعي وتطوير الترع الخاصة بعملية الري وتشييد الجسور كل هذه الأساليب الحديثة وغيرها ساهمت بطرق مختلفة على تحقيق الاكتفاء الذاتي لبعض مواد الغذاء الأساسية للمصريين.

ففي الفترة التي تربع فيها محمد على وجلس على عرش القيادة السياسية بمصر والذي عمل جاهدا على تطوير معالمها المختلفة ونتيجة لذلك العمل الجاد من أجل نهوض مصر حضاريا (... تمتعت مملكة مصر بفائض زراعي ضخم عام ١٨٤٤ حيث كان يقدر حجم محصول القمح فيها بحوالي ألف كلغ للهكتار، وكان هذا المقدار متساويا تقريبا مع ما تنتجه فرنسا وألمانيا وأكبر من المقدار الذي كانت تنتجه أوربا الشمالية والشرقية والوسطى. وهي

[١] عام الحسم السادات والناس مصر ٧١، مرجع سابق، ص، ٦٢و ٦٣ (بتصرف)

تتمتع بممرات مائية داخلية ممتازة إذ يخترق النيل بفروعه وقنوات الري التابعة له كل أنحاء الأراضي المأهولة...)[٢] بالسكان مما سهل على الشعب المصري في تلك الفترة المزدهرة أن يأكل مما يزرع على أرض مصر من دون أن تعتمد كليا على طريقة الاستيراد من الدول الأخرى. كل ذلك الفائض تحققت أهدافه بسبب عملية التخطيط السليم وإضافة إلى ذلك وفرة المحاصيل المختلفة الأصناف التي كانت تتمتع بها مصر كان لها الدور الحقيقي في تحقيق الفائض الزراعي يعتبر من الركائز الأساسية التي تساهم تحقيق الأمن الغذائي لمصر في تلك الفترة.

ولم تكن المحاصيل الزراعية وحداها هي التي ساهمت في تحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء للمصريين بل كانت هناك عدة عوامل تركت بصماتها الفعلية في تحقيق ذلك ومنها عملية التخطيط السليم والتنفيذ الأمين من قبل القائمين على تنفيذ عمل المشاريع والتوظيف الحكيم لتشغيل المصانع التي أنشئت (...وإضافة إلى ذلك أن مصر كانت سباقة إلى تحديث نظام النقل فيها. فكان ميناء الإسكندرية الذي ارتبط بنهر النيل عن طريق ترعة المحمودية عام ١٨١٩ أفضل موانئ الشرق الأوسط وشمال أفريقيا وأحد أهم مينائين أو ثلاثة موانئ على البحر المتوسط كله في ذلك الوقت. وقد عرفت خطوط سكك الحديد قبل السويد أو وسط بولندا وقبل اليابان أيضا بزمن طويل...)[١] وهذه من البراهين الواضحة التي تدل على التقدم العلمي والتوسع في وسائل النقل الحديثة التي كانت تتمتع بها مصر في عصرها الذهبي بأفضل مزايا التقدم الحديث، التي كانت فيه مصر أيضا تسابق الزمن من أجل أن تتقدم حضاريا وتتفوق ماديا على حساب بعض الدول.

وقد قامة الحكومة المصرية بعد عملية التغيير من العهد الملكي إلى الجمهوري ففسح المجال أمامها للمستقبل المزدهر لان تكون دولة تتقدم إلى الأمام حيث دخلت مرحلة جديدة من عناصر التشييد والبناء الحديث رغم الصراعات القائمة في تلك الفترة من الناحية الداخلية وتكالب الدول الأخرى على مصر بمخالبها الحادة، لكن رغم كل ذلك استطاعت مصر أن

---

[٢] د/ مسعود ظاهر، اليابان بعيون عربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط، الأولى نوفمبر ٢٠٠٥م، ص، ١٩٧

[١] المرجع السابق، نفس الصفحة (بتصرف)

تبني(... أضخم وأهم مشروعات الثورة وهو السد العالي[٢] من أجل الزراعة في المقام الأول، حيث وفر كميات من المياه اللازمة لتحويل ري الحياض إلى ري دائم وبسببه تمت عملية استصلاح ما يقرب من مليوني فدان...)[٣] من الأراضي الزراعية وأخذت مصر بعدها تتقدم مرة أخرى إلى أن وصل إنتاجها الزراعي إلى عملية حد الاكتفاء الذاتي من بعض المحاصيل الزراعية"...ففي عهد عبدالناصر استطاعت مصر أن تحقق الاكتفاء الذاتي من كل محاصيلها الزراعية ما عدا القمح الذي حققت منه ٨٠٪ من احتياجاتها...)[٤] المحلية وهي نسبة متقدمة في تلك الفترة استطاعت أن سد حاجة المواطن المصري من القمح وهو من السلع الأساسية للمجتمع وتعد تلك النسبة عالية لمحصول القمح وبقية المحاصيل أيضا

---

[٢] محطات تاريخية لبناء السد العالي في مصر في بداية الأمر (... تقدم المهندس المصري اليوناني الأصل أدريان دانينوس إلى قيادة ثورة ١٩٥٢ بمشروع لبناء سد ضخم عند أسوان لحجز فيضان النيل وتوليد طاقة كهربائية منه. – بدأت الدراسات في ١٨ أكتوبر ١٩٥٢ بناء على قرار مجلس قيادة ثورة ١٩٥٢ من قبل وزارة الري والموارد المائية وسلاح المهندسين بالجيش ومجموعة منتقاة من أساتذة الجامعات حيث استقر الرأي على أن المشروع يوفر احتياجات مصر المائية. – طلبت مصر من البنك الدولي تمويل المشروع.– في ديسمبر ١٩٥٥ تقدم البنك الدولي بعرض لتقديم معونة بما يساوى ربع تكاليف إنشاء السد. – سحب البنك الدولي عرضه في ١٩٥٦/٧/١٩ بسبب الضغوط الاستعمارية.– في ١٩٥٨/١٢/٢٧ تم توقيع اتفاقية بين روسيا ومصر لإقراض مصر ٤٠٠ مليون روبل لتنفيذ المرحلة الأولى من السد. – في مايو ١٩٥٩ قام الخبراء السوفييت بمراجعة تصميمات السد واقترحوا بعض التحويرات الطفيفة التي كان أهمها تغيير موقع محطة القوى. – في ديسمبر ١٩٥٩ تم توقيع اتفاقية توزيع مياه خزان السد بين مصر والسودان. – بدأ العمل في المرحلة الأولى في ٩ يناير ١٩٦٠.– ٢٧ أغسطس ١٩٦٠ تم التوقيع على الاتفاقية الثانية مع روسيا لإقراض مصر ٥٠٠ مليون روبل إضافية لتمويل للسد.– ١٤مايو ١٩٦٤ تم تحويل مياه النهر إلى قناة التحويل والأنفاق وإقفال مجرى النيل والبدء في تخزين المياه بالبحيرة. – أكتوبر ١٩٦٧ انطلقت الشرارة الأولى من محطة كهرباء السد العالي. – في منتصف يوليو ١٩٧٠ اكتمل صرح المشروع. – في١٥ يناير ١٩٧١ تم الاحتفال بافتتاح السد العالي...) الأهرام: الأربعاء ١ من رجب ١٤٣٥ هـ ٣٠ أبريل ٢٠١٤ السنة ١٣٨ العدد :٤٦٥٣١

[٣] طارق رضوان، عام الحسم السادات والناس مصر ٧١، مرجع سابق، ص، ٦٠و ٦١(بتصرف)

[٤] المرجع السابق، ص، ٦١ (بتصرف)

ويعتبر منهج الاكتفاء من بعض المواد الغذائية تقدما ملموسا أيضا مقارنة بالفترة التي جاءت بعدها التي تركت بعض الآثار السلبية لبعض المحاصيل الزراعية.

المحور الثالث: عوامل التأخر ومنهج التخلف المصري.

عوامل التأخر لمصر وتخلفها عن مواصلة الاسهام الحقيقي في رقي مصر كانت له أسباب وتداعيات مختلفة منها العوامل الداخلية، والخارجية فالداخلية أن مصر لم تحض برجال تتميز أذهانهم بالفطنة وتتصف بالدهاء السياسي بحيث تأخذ بمنهج الحكمة وتتعظ من الآخرين لتتجنب المخاطر المستقبلة كل ذلك كان من قبل بعض السياسيين الذين كان من المفترض عليهم أن يأخذوا بأسباب الحذر الكبير من دواعي التخطيط الذي قامت به دول الاستعمار لإضعاف مصر في بعض مجالات الحياة. ومن المعلوم أن العوامل الداخلية لمصر كانت من ضمن الأسس الأقوى التي ساهمت بطرق مختلفة على تأخر مصر ووجدت صعوبة للتنافس في ميدان علم الابتكار والبناء المعرفي الجديد خصوصا بعد النصف الأول من القرن العشرين، وبغض النظر عن التدخلات الخارجية من قبل الدول الكبرى[1] لكن في النهاية تقدمتها دول لمع اسمها وتطورت صناعاتها المختلفة وتنافست على ترك بصماتها على علم الابتكار والبناء المعرفي الحديث.

---

[1] بالنسبة للعوامل الخارجية أي عوامل التدمير والتخريب من قبل بعض الدول الكبرى أو بتعبير أدق صاحبة النفوذ المباشر والمصالح المادية غالبا ما تأتي لإجهاض عملية التقدم العلمي والتقني والإصلاح بمختلف أنواعه كل ذلك يحدث بعد أن تتعارض المصالح والإحساس بالأخطار المستقبلية من الدول التي تحاول جاهدة النهوض الحقيقي والاستقلال عن التبعية جزئيا أو كليا وقد حدث ذلك في عهد محمد علي فعندما (... أمسك ... بشعار سياسي جامع، هو ((وحدة المسلمين في وجه الأطماع الأوروبية)) وضع السلطان أمام مسؤولياته التاريخية تجاه وحدة السلطنة وحماية رعاياها، وغالبيتهم من المسلمين. وقد أثار هذا الشعار خوف الساسة الأوروبيين بمن فيهم أصحاب القرار في فرنسا، حليفة محمد علي الرئيسية. وقد عبر عن ذلك الخوف سفير فرنسا بالآستانة، في رسالة وجهها إلى حكومته بتاريخ ١٩ أبريل ١٨٣٣م، جاء فيها: ((في اعتقادي، أن مصر قوة مفتعلة، لكنها أصبحت خطيرة حين امتلك زمام الأمور فيها محمد علي، لذا علينا أن نخشى جانبها، وعلينا أن نضع أمامها حواجز لإيقافها، وعلينا أن نحصر طموح واليها

فكل عاقل قرأ عن مصر وأحوال بعض المصريين المغلوب على أمرهم وتمعن في بعض الأحداث التي مرت بها الدولة ومجتمعها يدرك أن (... مصر نمت فعلا في ذاتها حجما وقوة ولكن العالم من حولها نما وتضخم بسرعة وبمعدل أسرع وأعظم بكثير ... وبصيغة أبسط كانت مصر كبيرة والعالم صغيرة، وأصبحت مصر بعد ذلك صغيرة والعالم كبيرا... ولكن الضمور والانكماش النسبي التاريخي في حجم ووزن مصر السياسي العالمي عبر التاريخ بعامة لا تخطئه العين ولا سبيل إلى إنكاره، وهذا الضمور والتضاؤل النسبي هو بلا شك العامل الأساسي الذي كان وراء الانحدار التاريخي لمصر...)[1] بمعنى أنها تراجعت عن دورها الريادي الذي كان حاضرا سابقا في ظل عامل القوة العسكرية والمادية والعزة والكرامة الإنسانية، وهناك الكثير من العوامل التي ساعدت على تأخر مصر وتراجعها إلى الوراء وقد ترتب على أثر ذلك الكثير من المشكلات منها تراجع المنظومة التشريعية، وكذلك منهج الفساد والافساد، والاستبداد، وقد كانت المحصلة النهائية والمصير الحتمي أن كل الأساليب الفساد والاستبداد وغيرهما غدرا ولفترة بسيطة بآخر حاكم للجهورية العسكرية المصرية الأولى (٢٠١١م) التي تربعت على عرش القيادة منذ عهد الخمسينيات من القرن العشرين، ولكنها تهيئت لها الظروف المختلفة مرة أخرى لتعيد مشهد الانقلاب السياسي؛

ضمن حدود لا يستطيع معها، وفي كل لحظة، أن يجابه الروس والانجليز بمصالح فرنسا، فإذا ما استقر محمد علي ما وراء جبار طوروس، فإن المصالح الأوروبية كلها تصبح مهددة في كل لحظة...) د/ مسعود ظاهر، **النهضة العربية والنهضة اليابانية تشابه المقدمات واختلاف النتائج: مرجع سابق، ص، ١١١**، وهكذا بالنسبة لبعض الدول التي تحاول الصعود إلى قمة التقدم المعرفي وتتعارض مع المصالح المادية للدول المتقدمة تقع في النهاية تحت المراقبة الشديدة ويخطط لها عملية التدمير والتخريب؛ وعلى سبيل المثال لا الحصر التدمير المنظم والتخطيط الممنهج الذي حدث لجمهورية العراق بعد أن وصلت إلى مرحلة متميزة من التقدم الحقيقي في مجال المعرفة والابتكار وقد مثل قوة ردع للآخرين، ومصر أيضا لكن بأساليب مغايرة ومنها مرض الفساد القاتل وكيف استخدمت الدول الاستعمارية أسلوب القروض الربوبية وأغرقت الديون كاهل مصر في العهد الملكي سابقا وكذلك الاستبداد وطرقه المختلفة، وغيرهما من الدول سواء أكانت على دين سماوي أو أرضي.

[1] د/ جمال حمدان، شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان، ج، ٢، دار الهلال القاهرة رقم الإيداع: ١٠٨١٦٤/ ١٩٩٤، ص، ٧٣٨ و ٧٣٩ (بتصرف)

ليكون حاضرا وبسببه تغير المسار الديمقراطي وبهذا المنهج عادة مصر مرة أخرى إلى سيرتها الأولى.

ومن بين الأسباب التي أدت إلى تراجع مصر وتأخرها عن مواكبة الأحداث المعاصرة بطريقة علمية ومعرفية ما يلي:

أولاً: التراجع في منظومة التشريعات المختلفة.

هذه النقطة عملية التراجع في تطبيق منظومة التشريعات تعتبر من أهم الطرق التي أدت إلى تراجع مصر وتأخرها عن عالم البناء المعرفي بصبغته الجديدة وعملية التراجع هذه زادت واستفحل خطرها في العهد الجمهوري بد ان تم الغاء ارقى الدساتير المصرية ففي تلك الفترة عمدت الحكومة المصرية أي (جمهورية مصر العربية) وهي في أوج نشاطها على اتخاذ القرارات المختلفة التي كانت تراها من وجهة نظرها مناسبة وجاءت القرارات وبياناتها لصالح الشعب والجمهورية المصرية في السنة التي حدثت فيها عملية التغيير السياسي لمصر في حلتها الجديدة (... فقد أذاع اللواء محمد نجيب في ١٠ ديسمبر ١٩٥٢ بيانا أعلن فيه باسم الشعب المصري سقوط دستور ١٩٢٣ وان الحكومة آخذة في تأليف لجنة تضع دستورا جديدا يقره الشعب ويكون منزها عن عيوب الدستور الزائل...)[١] الذي عملت الحكومة المصرية الجديدة التخلي عن المبادئ التي أقرها الدستور في العهد الملكي الذي استمر لأكثر من عقدين وقد كان له دور حقيقي في تطوير الحياة البرلمانية المصرية فقد كان للأعضاء بمختلف توجهاتهم حق الاعتراض والموافقة على ما يهم مصر وشعبها.

ذلك الدستور الذي كان له أثر على واقع الحياة العامة والخاصة للمصريين إضافة إلى ذلك يعتبر دستور عام ١٩٢٣م من الدساتير الراقية التي شرعت أحكام قوانينها المختلفة في مصر فمن بين أهم المبادئ التي نص عليها الدستور الذي عد زائلا بعد العهد الملكي هي أن(... المصريين لدى القانون سواء وهم متساوون في التمتع بالحقوق المدنية والسياسية

---

[١] عمرْو الشلقاني، ازدهار وانهيار النخبة القانونية المصرية ١٨٠٥ ـ ٢٠٠٥، دار الشروق مدينة نصر القاهرة، ط، الأولى ٢٠١٣، ض، ٢٩٠ (بتصرف)

وفيما عليهم من والوجبات والتكاليف العامة لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الأصل أو اللغة أو الدين...)[٢] وهذا الدستور بمبادئه المختلفة أعطى مصر بأن تتبوأ مكانة مرموقة في محيطها وتتقدم بطريقة أفضل إلى الأمام وأتاح للمصرين داخليا أيضا مزيدا من عامل الحرية التي كان ينشدها الشعب.

وتبرز الأهمية الكبيرة للتشريعات التي نص عليها دستور ١٩٢٣ بسبب الامتيازات الكثيرة التي حضي بها بترحيب وكانت في صالح الوطن والمواطن المصري(... فمن المبدأ الأول توالت مواد الأبواب الأخرى إلى الإقرار بان ((الحرية الشخصية مكفولة، وحرية الرأي مكفولة أيضا، ولا يجوز القبض على أي إنسان أو حبسه إلا وفق القانون، ولا جريمة ولا عقوبة إلا بناء على قانون، وكذلك للمنازل حرمة فلا يجوز دخولها إلا في الأحوال المبينة في القانون، وللملكية الشخصية حرمة فلا ينزع عن أحد ملكه إلا بسبب المنفعة العامة وبشرط تعويضه عن تعويضا عادلا، والصحافة حرة في حدود القانون، والرقابة على الصحف محظورة، وإنذار الصحف أو وقفها أو إلغاؤها بالطرق الإدارية محظور، وإضافة إلى ما تم ذكره شرع الدستور أن للمصريين حق الاجتماع في هدوء وسكينة غير حاملين سلاحا وليس لأحد من رجال الشرطة أن يحضروا اجتماعاتهم ولا حاجة بهم إلى إشعاره...)[٣] إذا لم تكن هناك دواعي ضرورية تهدد قيم المجتمع أو أن تخل بالنظام العام لمصر الاجتماعي والأمني وربما قد تتفق جميع الدول المحافظة والملتزمة بعاداتها والمتمسكة بتقاليدها على هذا المبدأ المحافظة على النظام العام للدولة.

ثانياً: مصر أصبحت بيئة طاردة للكفاءات.

[٢] المرجع السابق ص، ٢٠٤ (بتصرف)

[٣] المرجع السابق ص، ٢٠٥ (بتصرف)

من أعظم الثروات التي المهمة تتواجد على أرض مصر العنصر البشري للكوادر المصرية المجيدة[١] علميا المبتكرة في مجالات البحث والتطور العلمي الحديث بمختلف التخصصات وقد هاجر الكثير منها إلى خارج مصر بعد أن واجهت عملية الاضطهاد ومصادرة الحرية في مصر وقد جدت تلك العقول المنتجة والمبتكرة بيئة حاضنة لها ووفرت الدول التي آووا إليها سبل الحياة العلمية مرحبة بهم ووفرت لهم الإمكانيات اللازمة والمهمة لتطوير مهاراتهم العلمية والعملية؛ ووجدوا ضالتهم في تلك الدول فجمهورية مصر في عهد تفشي ظاهرة الاستبداد والفساد والإفساد أصبحت بيئة طاردة للكفاءات البشرية وليست جاذبة لها.

وكما تمت الإشارة عن الكفاءات المصرية علميا وعمليا في الجزء الأول من كتابنا الذي نحن بصدد التحدث عنه (ثقافة العنف) عندما تحدثنا عن تغليب المصلحة الذاتية للأفراد ووضعها فوق المصالح العامة للشعب بينا أن هجرة العقول المصرية تعتبر كبيرة جدا فعدد (... الكفاءات العلمية والفنية تقدر بـ ٨٥٠ ألف عقل مصري ومعظمها يعمل في معاهد علمية وجامعات ومراكز أبحاث وشركات عالمية في الولايات المتحدة وكندا والدول الأوروبية, وثانيها أن من بين هذه **الكفاءات ٥٠ ألف خبرة علمية وفنية مصرية تحتل مواقع ريادية وقيادية**

---

[١] أنشئت جمهورية مصر العربية الصندوق المصري للتعاون من الدول الإفريقية وله دور بارز في إظهار قدرة الكفاءات المصرية المختلفة على تقديم العلوم المعاصرة للآخرين في القارة الإفريقية وغيرها من الدول (...الصندوق المصري للتعاون مع أفريقيا التابع لوزارة الخارجية نجح في توثيق العلاقات المصرية مع الدول الأفريقية في جميع المجالات. وأسهم في مد يد العون للدول الإفريقية، وتعود فكرة إنشاء الصندوق إلى الدكتور بطرس غالي (ت ٢٠١٦م) الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة, حيث صدر الرئيس الراحل أنور السادات قرارا بإنشائه عام١٩٨٠, وكانت أهم أهداف الصندوق الأساسية تنظيم تقديم المعونة الفنية للدول الأفريقية في صورة خبراء في مختلف التخصصات وتوفير منح وبرامج دراسية لكوادرها في المجالات التي هي في حاجة إليها كدول مستقلة حديثا, خاصة أن بعض الدول الاستعمارية تعمدت أن تضعف البينية السياسية لهذه الدول...وقد ارسلت مصر ٨١٦٥ خبيرا منذ إنشاء الصندوق في كل التخصصات تشمل أطباء, مهندسين وأساتذة جامعة . كما قام الصندوق بتدريب كوادر افريقية في كل التخصصات بلغ عددها ٩٦٩١ متدربا...) الأهرام : السبت ٢١ من ربيع الأول ١٤٣٤هـ الموافق ٢ فبراير ٢٠١٣م العدد: ٤٦٨٧٩

في مؤسسات البحث العلمي والتطوير التكنولوجي في تلك البلدان...)[٢] مستغلة خبرات وأفكار العقل المصري كل ذلك من أجل خدمة مصالحها الخاصة وللأسف الشديد قامت مصر بتصديرها بعد نضوجها إلى الدول الأخرى سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

وأمام كل تلك الحقائق التي تم ذكرها إذا لا يمكن أن نجد لبعض الأسئلة السابقة أية مبررات تعطي الآخر حجة وتصديق ما ذهبوا إليه في طرح أفكارهم من خلال الأسئلة التي قد توهم للبعض أنها صحيحة من وجهة نظرهم فالحقائق مغايرة تماما على أرض الواقع المصري ولا تمت بأية صلة عن عدم استطاعت مصر التغلب على المشكلات التي حدثت فيها أو أن تفعيل بعض الوسائل العلمية الحديثة لا تستطيع أن تحقق لمصر النهوض، ومن الصعوبة بمكان إيجاد الحلول المناسبة لمشكلات مصر الاقتصادية والتركيبة الديمغرافية، وتحقيق برامج النمو، وتحسين العيش الكريم للمجتمع المصري. وهناك بعض العقبات لتتقدم مصر وتزدهر حضارتها مرة أخرى وبطريقة أقوى من السابق.

فذلك المنهج يعتبر من وجهة نظرنا مرفوضا من قبل العقلاء والمحللين المنصفين للتطورات الأحداث العالمية المعاصرة بمختلف جوانبها.

ثالثاً: تدهور الأوضاع المختلفة في مصر؛ السياسية التعليمية الصناعية.

إن عملية التراجع وتدهور الأوضاع المختلفة التي حدثت بمصر وللأسف الشديد كانت خطيرة في ظل التطورات المعاصرة للدول الصاعدة في مختلف مجالات التقدم العلمي والصناعي والاقتصادي الحديث وتعدُّ تلك الخطورة بمثابة (... الانحدار بلا موارية ـ كقوة سياسية في العالم عبر القرون الأخيرة وهذا الانحدار التاريخي سياسيا هو بعينه

---

[٢] راجع الجزء الأول من الكتاب، العوامل الداخلية لثقافة العنف رابعاً. ثقافة العنف والعوامل المغذية لها قضايا فكرية معاصرة، إبراهيم بن حبيب الكروان السعدي، ج ١، ط الأولى، ٢٠١٢م، مؤسسة عمان للصحافة والإعلان والنشر مسقط، ص،٢١٢و ٢١٣.

الذي أخرج مصر من التاريخ وحصر دورها الإنساني في (صناعة الحضارة) بينما كان يجمع من قبل بين (صناعة التاريخ وصناعة الحضارة ولقد وصل هذا الانحدار إلى حضيضه تحت الاستعمار التركي الذي أوصلها في النهاية إلى السقوط للاستعمار الأوروبي الحديث وإلى الخضوع والتبعية للغرب الاستعماري بصورة أو بأخرى...)[1] في عالمنا المعاصر والذي ظهرت آثاره السلبية المختلفة واضحة بسبب منهج الاستعمار وأساليبه المتعددة التي استخدمها من أجل السيطرة على مصر وتحطيم حلم نموها وارتقاء نهضتها العلمية.

وقد بدرت بعض المحاولات الجادة للتخلص من تبعات الاستعمار والعمل بقدر الإمكان على عملية الاستقلال والتحرر لكي تبقى مصر قوية ولكن هناك حواجز ووجود بعض العقبات المانعة وقفت أمام تحقيق مطالب تطبيق حلم الاستقلال النهائي من تبعات الآخرين(...فالخط البياني الذي كان يرسم منحنى قوة مصر السياسة طوال هذه القرون خط هابط باستمرار بل وباطراد وإن كسرته في العصر الحديث موجتان مديتان عكسيتان فيهما انفجرت مصر في محاولة عظمى من أجل القوة ولكنها وللأسف الشديد انتكست في النهاية فالمحاولة الأولى هي محمد على وإمبراطوريته الإقليمية الشامخة التي تكالب الاستعمار الأوروبي على تدبيرها وتصفيتها والمحاولة الثانية كانت في يوليو ١٩٥٢عبد الناصر الذي أقام إمبراطورية معنوية غير إقليمية[1] ... فرضت نفسها كواحدة من أبرز

---

[1] د/ جمال حمدان، شخصية، مصر دراسة في عبقرية المكان، مرجع سابق، ص، ٧٣٩ (بتصرف)

[1] صرح أحد رؤساء أجهزة المحاسبات المصرية في حوار أسبوعي أجرته معه جريدة المصّر وقد كان مع المستشار هشام جنينة وقال عن ثورة يوليو ١٩٥٢م بعد أن طرحت عليه مجلة المصّر سؤالا "...هل في هذا التقييم للأداء أنت تحاكم نظاما لعقود أم خلال عامين من توليك رئاسة الجهاز؟ وقد أجاب المستشار هشام جنينة عن السؤال بقوله أحاكم نظاما لعقود فالموضوعية تقتضي أن نقول إن بداية الانهيار الحقيقي كانت في أعقاب قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، والتي لهاما لها وعليها ما عليها وهذا ليس انتقاصا منها، فالثورة قامت من اجل ستة مبادئ لم يتحقق منها شيء وهذا ما استدعى قيام ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١، فالأزمة بدأت حين قتلت الحياة السياسية في مصر،

حقائق عالمنا المعاصر إلى أن تكالبت عليها دول الاستعمار العالمي...)[٢] المختلفة بتطورها العسكري وبتفوقها التكنولوجي الحديث محاولة بكل الطرق إجهاض كل ما من شأنه مواصلة عملية التطور الداخلي والبناء الصناعي وإضافة إلى ذلك إفشال تطبيق منهج الإصلاح التي كانت تنشدها مصر وغيرها من الدول العربية في ذلك الوقت.

وقد برزت المشكلة الكبرى والتي تعدُّ الأشد تعقيدا على واقع المجتمع العربي والإسلامي بدياناته المختلفة الخالدة وبقية الديانات السماوية وتعدُّ تلك المشكلة الأكبر خطرا على مصر والدول العربية من خلال زرع سرطان التمدد الاستعماري ولم يكن يحدث ذلك لولا عملية الضعف والانحدار إلى الأسفل؛ بعد أن تمتعت أم الدنيا بقوة متعددة الاتجاهات فمصر انفردت بمقومات وهي(...أكبر من أن تخضع لضغوط العالم المعاصر ومناوراته ومؤامراته المختلفة وعدوانياته لتحجيمها وتقليصها وعزلها عن مجالها القومي الطبيعي وتحديد إقامتها وراء حدودها الوطنية كما حدث أيام محمد على وتصفية إمبراطوريته وجيوشه وصناعاته وكما تكرر مع مصر المعاصرة بإقامة إسرائيل وحمايتها وتسليحها

فالثورة حققت مكاسب على الشكل العام بأن المواطن أصبح يشعر بحقه من البلد وعلى قدر نجاح عبدالناصر في ملف أهمل ملفات أخرى وهذه هي طبيعة العنصر البشري، ويضيف جنينة ساهم في ذلك الوقت أيضا بعض رجال القانون في تطويع القانون صالح النظام ، وقتها ولذلك أقول (احذروا من رجال القانون " فالبعض يستطيع تطويع القانون لصالح الحاكم والنظام وممكن ان يُطوع لصالح الثورة والشعب، وتطرح المصّر سؤالا آخر للسيد هشام جنينية قائلة له: ألا ترى انك تحمل ثورة يوليو مساوئ كثيرة؟ ويجيب جنينة قائلا: عندما تنهار الحياة السياسية بعد أن وصلنا إلى تعددية حزبية لدرجة محاسبة الملك على نفقات قصره وعلى صفقة الأسلحة الفاسدة فلا بد أن أُحمل الثورة مسؤولية هذا الانهيار ربما لا يعلم كثيرون أن قضية الأسلحة الفاسدة ومصروفات القصر الملكي فحصت بمعرفة الجهاز المركزي للمحاسبات وقت رئاسة محمود محمد محمود وهو نجل وزير الداخلية الأسبق محمد محمود... فالانهيار في المؤسسات الذي بدا مع ثورة ٢٣ يوليو هو الذي وصل بنا إلى هذا المستوى...) المصّور العدد: ٤٧٣٦ تاريخ ٢٨ رمضان ١٤٣٦هـ / ١٥ يوليو ٢٠١٥م/ القاهرة، ص،١٢ (بتصرف)

[٢] د/ جمال حمدان، شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان، مرجع سابق، ٧٣٩ (بتصرف)

وفرضها فرضا على العرب وفي مقدمتهم مصر الخ...)[1] فقد كان لتلك الخطط التي نفذت بإحكام شديد من قبل دول الاستعمار القديمة والحديثة تعدُّ من العوامل التي همشت دور مصر الريادي، وبدورها ساهمت وبطرق مختلفة على تراجع مصر حضاريا وتخلفها صناعيا وتردي بعض أوضاعها الداخلية.

وكما جاء التعبير عن المشهد السابق للمخاطر للدكتور جمال حمدان في كتابه القيم (شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان) معبرا عن ذلك الوضع المؤلم الذي حدث في مصر قائلا (...سيلاحظ أن مراكز القوى الأجنبية التي سيطرت على مصر بدأت قريبة منها ثم تباعدت عنها بالتدريج وباستمرار حتى وقتنا هذا وقد ترتب على ذلك أن مصر ستقع منذ الآن في أيدي قوى لم تسبق أن وقعت ولن يحدث أن تقع هي يوما في يد مصر أي أن علاقة التبعية ستكون منذ الآن من جانب واحد للأسف وليست متبادلة بين الجانبين كما كان الغالب في الماضي...)[2] واقعا وطريقة التبعية والإذعان لمنهج الآخر تعدُّ من ضمن الأساليب التي استخدمت على مصر واتبعت طرق تطبيقها من قبل دول المستعمرين الأجانب ولم يكن تفعيل استخدام تلك الطرق الاستعمارية في مصر فحسب، بل عم معظم الأقطار التي احتلت من قبل المخربين.

رابعاً: وباء الفساد الذي دمر الدولة المصرية.

من ضمن العوامل التي أدت الى تراجع مصر وتأخرها عن تحقيق منهج الاستقرار الاقتصادي والمالي وكان مدمرا لها هو استشراء مرض الفساد والافساد وهذه الطريقة

---

[1] المرجع السابق، نفس الصفحة (بتصرف)

[2] المرجع السابق، ص، ٦٤٥ و ٦٤٦ (بتصرف)

من أكبر المعوقات لتقدم الأمم وازدهار الأوطان ومنها مصر فالفساد عادة ما يكون مقترنا بالاستبداد وبطبيعة الحال لم يقتصر الفساد وتوسع دائرة في العهد الجمهوري فحسب بل كان أيضا في العهد الملكي قبل الإطاحة به في الخمسينيات من القرن العشرين.

لكن الدولة المصرية في العهد الملكي كانت متماسكة على أقل تقدير في بدايتها وكذلك اثناء تقدمها وازدهارها علميا، واقتصاديا، وعسكريا[1] وتجاريا...، وقد كان لمنهج الفساد

---

[1] غني عن التذكير والتعريف بالمزايا المختلفة التي تمتعت بها مصر وتخطت عقباتها المتنوعة وما حظيت به من منهج التطور العلمي الحديث والاندماج الحقيقي مع الحضارة الإنسانية الحديثة الذي وصلت إليه مصر في مرحلة متقدمة من تاريخها المعاصر فبعد عملية القوة الحقيقية التي تمتعت بها مصر في عهد ازدهارها المعرفي وتقدمها الصناعي والتجاري وقد شكلت قوة ردع عسكرية قاهرة ووصل نفوذها العسكري إلى أماكن مختلفة فقد كادت تطورات الأوضاع (... لميزان القوة بين دائرة مصر ودائرة آسيا الصغرى تنقلب في الاتجاه العكسي حين اخترقت مصر في عهد محمد علي باشا قلب الأناضول وهددت الآستانة في الوقت...) الذي كانت فيه مصر قوة ضاربة استطاعت أن تفرض سيطرتها على أرض الواقع الإقليمي والدولي في تلك الفترة التي كانت"... في إطار التبعية الشكلية للدولة العثمانية لكنها أصبحت مصر بعد ذلك (رجل الإمبراطورية القوى) في الوقت الذي تحولت فيه الإمبراطورية نفسها إلى (رجل الذي لقبته أوروبا بالمريض).. الذي أجهض عليه ومنع من التحرك إلى الإمام أو مواصلة عملية التمدد مرة أخرى، وقد كانت عملية الإجهاز على الرجل المرض تمت من قبل الدول الاستعمارية. وقد أدى ذلك المشهد المرير والظروف العصيبة التي مرت بها الدولة العثمانية إلى تفكيك مستعمراتها المختلفة وتفتيت الإمبراطورية بعد ذلك إلى دويلات ضعيفة لكن"...طموحات محمد علي عندما كان حاكما لمصر كانت طموحاته تهدف إلى الوصول لمدينة الخلافة العثمانية في استانبول نفسها وبالتالي إلى زعامة العالم الإسلامي وقد بدأ ذلك الطموح وشيكا أو أوشك...) على نيله بسبب عامل القوة العسكرية التي كانت حاضرة ومتوفرة لدى مصر، وبسبب وجود بعض الصناعات التي كانت تصنع محليا خصوصا في أثناء ازدهار عمل المصانع في مصر واستغناؤها عن عملية الاستيراد لبعض أنواع الأسلحة والمعدات العسكرية.

دور حقيقي في تردي الأوضاع في مصر وعمل على تأخرها وتخلفها عن منهج التقدم أي بعض العوامل والطرق التي ساهمت بشكل مباشر وغير المباشر والتي ساعدت بدورها على تردي الأوضاع المختلفة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وتقنيا ...

ونسبة الفساد في مصر كانت عالية جدا زكمت أنوف الاصحاء من مرضى الرشح العابر، وقد لمس ذلك الغالبية العظمى من المصريين والمصيبة الكبرى أن الكثير من مؤسسات الدولة المصرية متلبسة بالفساد أي القطاع الحكومي ففي دراسة اعدت من قبل بعض الاكاديميين المصريين أشارت هذه الدراسة إلى أن (... حجم معاناة المصريين في تعاملهم مع المؤسسات الحكومية تشير إلى أن المصالح الحكومية ذات الطابع الخدمي تحتل المرتبة الأولى ضمن رؤية المصريين لأكثر المؤسسات فسادا في المجتمع بنسبة ٤٨,٤%، ويليها مؤسسات قطاعي الصحة والتعليم بنسب متقاربة بين ٥,٢٠ و ٢٠,٣% على التوالي، ثم وزارة الإعلام بنسبة ١٩,٤، ووزارة الداخلية بنسبة ١٧,٥%، وأخيرا المحليات بنسبة ١٥,٠٪ ...)[1] هذه النسبة التي أدت إلى

فكان من الطبيعي أن تساعد مصر الإمبراطورية الغريقة من أجل إنقاذها عندما (...تكشفت بعض عوامل الضعف وعجز تركيا عن مواجهة التهديد الروسي في المضايق...) التي كانت تسيطر عليها تركيا وكل ذلك احدث عملية إرباك حقيقية للدولة العثمانية الضعيفة عسكرية وما كان من بعض أفراد"...الطبقة الحاكمة الذين بدأت عليهم عوامل الخوف والخشية إلا أن يقولوا علانية ((إن المصريين مسلمون مثلنا، ومن الأفضل أن يحكموا هم الآستانة بدلا من أن يحكمها الروس)...) د/ جمال حمدان، شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان، دار الهلال القاهرة، ج، ٢ ، مرجع سابق بتصرف) وتلك المقولة القوية التي صدرت من قبل بعض الأسرة الحاكمة التركية ممن خافوا على سقوط الممرات المائية بأيادي الأقوياء تعبر عن العجز الواضح عن مجابهة الروس عسكريا من قبل الدولة العثمانية، فعندما وهون عظم الإمبراطورية وتكاثرت مشاكلها المختلفة وتكالب عليها الأعداء من حولها؛ فقدت هيبتها تجاه القوى العظمى في تلك الفترة وعامل الاستغاثة بالمصريين والاستنجاد بهم من قبل بعض أفراد الطبقة الحاكمة كان بمثابة العزة للعرب والمسلمين لمواجه التهديدات الخارجية المختلفة والأخطار الكثيرة التي كانت تتربص ببعض الدول الإسلامية والعربية.

[1] الأطر الثقافية الحاكمة لسلوك المصريين واختياراتهم دراسة لقيم النزاهة والشفافية والفساد، د/ أحمد زايد الباحث الرئيس، خالد عبدالفتاح، منال زكريا، عادل شعبان، تقديم د/ أحمد درويش وزير

تدهور الأوضاع المختلفة في مصر والسواد الأعظم فيها أن المؤسسات الرسمية هي التي تربعت على قائمة الفساد في العهد الجمهوري.

وهناك مظاهر متعددة للفساد بمصر اختلفت مسمياتها وتنوعت طرقها لكن في النهاية كلها من مظاهر الفساد والإفساد وقد (تتجلى مظاهر الفساد في المجتمع المصري كما عبر عنها مجتمع الدراسة بانتشار الرشوة، التي احتلت مكان الصدارة لمظاهر الفساد بنسبة ٧٠.١٪، وتحتل المحسوبية المرتبة الثانية ضمن مظاهر تجلى الفساد بنسبة ٤٦,٢%، حيث يرى كثير من أفراد عينة الدراسة أن الرشوة والمحسوبية من أهم السمات التي تعظم من وجود الفساد وتسمح بانتشاره وتغلغله في شتى مناحي الحياة....)[1] المختلفة ومنها العلمية أي دور التعليم كما ورد في الفقرة السابقة ومجالات التعليم متنوعة الصغرى أو الكبرى التي تُعد من أساسيات البناء المعرفي للإنسان.

وعلى الرغم من كل ذلك من حجم الفساد المستشري في مصر لم يستطع من كان بيده مفتاح صنع القرارات المختلفة ومن يقوم مقامهم المحافظة الحقيقية على ما تحقق في فترة الازدهار المعرفي فهبطت مصر تدريجيا وتراجعت بعض طموحاتها إن لم يكن أغلبها للصعود إلى سلم الرقي الحضاري مرة أخرى وتكون في ميدان الابتكار الصناعي والتقدم العلمي المنشود وبطريقة حديثة ومتسارعة.

وعندما فقدت مصر السيطرة على كبح طرق الفساد انهالت عليها المصائب الكثيرة وعانت من المتاعب المتنوعة بسبب الفساد وعامل الإفساد الذي استشرى في مصر كيف لا ومرض الفساد كان ينخر في جسد الدولة المصرية ومن رأس النظام سابقا (...**فقد كشف تقرير صدر عن هيئة النيابة الإدارية عن أن هناك حالة فساد داخل أجهزة الدولة كل دقيقتين، بما يصل إلى ١٤٤٠ حالة فساد في اليوم الواحد ما بين**

التنمية الإدارية الأسبق، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية كلية الآداب . جامعة القاهرة ٢٠١٣م، ص٧١

[1] المرجع السابق، ص، ٧٢

اختلاسات ومخالفات إدارية وإهدار للمال العام...)[٢]وغيرهم فسقطت سقوطا مدويا إلى الأسفل مخلفة من ورائها المشاكل الكثيرة والمصائب التي لا يمكن ان تنمحي من ذاكرة التاريخ المليء بالأحداث وستتذكرها الأجيال اللاحقة جيلا بعد جيلا فبسبب الفساد والإفساد وقعت تحت رحمة المستفيدين من بعض أبنائها والحاقدين على نهضتها التي كادت أن تفجر للعالم العربي منجزات كثير لولا إجهاض البعض منها في مهدها ولم تكلل الجهود الرامية للإصلاح والأعمار بالنجاح التام المنشود للمصريين.

الخاتمة

بعد أن قمنا بعرض سريع لبعض أحداث مصر الإيجابية منها والسلبية الذي تمثل في تأخر مصر وتخلفها عن الاستمرار في ميدان المنافسة بعد أن كانت من الدول المتقدمة وكان العهد الملكي الذي شهدت فيه مصر تقدما ملموسا في الكثير من جوانب الحياة المختلفة ومنها التعليمية والاقتصادية والعسكرية، ومصر في تلك الفترة كانت قوتها ضاربة وقد استطاعت أن تصمد أمام التحديات المختلفة في تلك الفترة وتصدت لقوى الرياح العاتية التي كانت تهب عليها من كل حدب وصوب، فعامل القوة المادة والعسكرية والاقتصادية يستطيع أن يغير كل شيء في ظل التطورات المعاصرة منذ أن تربعت الحضارة الحديثة وهيمنة على دول العالم بغض النظر عن التوجهات

---

[٢] هذا جزء من مقال للأستاذ: عبد الناصر سلامة، رئيس تحرير جريدة الأهرام: الجمعة ١٢ من ذي القعدة ١٤٣٣ هـ ٢٨ سبتمبر ٢٠١٢ العدد: ٤٥٩٥٢

الرأسمالية أو الاشتراكية فكلا القطبين أصبحا أصحاب نفوذ قوي؛ علميا، وتقنيا، وتكنولوجيا وماديا وعسكريا.

وقد كانت الظروف مواتية لتقدم مصر لكن العوامل التي أدت إلى تأخرها، وكل ذلك يعود إلى عاملين مهمين العامل الداخلي وهو الأخطر والعامل الخارجي أما عن الجانب الداخلي فقد كان عقبة كؤود حال بين عملية التقدم وتأخر مصر، وقد تمثل ذلك من وجهة نظرنا فقط عدم وجود إرادة حقيقية من قبل البعض من المصريين أي أصحاب النفوذ وصناع القرارات العليا. وقد تم التعرض لبعض الأسباب وقد اختلفت بين عامل القوة والضعف وكان أخطرها عامل (الاستبداد، والقوة الأمنية المفرطة، والفساد، والإفساد)[1] وعدم وجود رؤية حقيقية لتصحيح الأخطاء وبجانب كل ذلك فقدان العامل الأهم وهو عملية التخطيط السليم والتنفيذ الأمين لكل ما يتم رسمه من سياسات مختلفة وهذا العامل لا يخص مصر بعينها، بل يشمل بعض الدول خصوصا العربية.

علما أن مصر دولة غنية فيها مقومات الحياة الكثيرة بمختلف أنواعها منها العامل البشري بمختلف توجهاته العقول المعلمة والمتعلمة، وكذلك المبتكرة والمكتشفة لبعض الإنجازات الحديثة، وكذلك موقعها الاستراتيجي والمقوم الاقتصادي؛ الثروات الطبيعية التي تتمتع بها مصر وقد أجاد الدكتور عبدالخالق فاروق في الكثير من كتبه عن مصر ومنها كتاب (هل مصر بلد حقا فقير؟) وهو من الكتب المهمة لمن أراد ان يعرف عن مصر وقد قال الكاتب في مقدمه كتابه القيم (... في يناير من مطلع العام ٢٠١٧، أطل علينا رئيس الجمهورية، بتصريحات غريبة ومثيرة للدهشة، قال فيها (أيوه أحنا بلد فقير... وفقير قوى كمان)، وبقدر ما صدمت هذه الكلمات القصيرة والحادة، الرأي العام في مصر ، بقدر ما كشفت أننا إزاء رئيس لا يمتلك أفقا ولا رؤية لإخراج البلاد من مأزقها الاقتصادي والسياسي، الذى تسبب به أسالفه من جنرالات الجيش

[1] تحدثت عن ذلك بطريقة مفصلة في كتابنا ثقافة العنف والعوامل المغذية، وقد كان الطلب الأول للمتظاهرين بميدان التحرير عام ٢٠١١م بعد سقوط نظام حسني مبارك؛ حل جهاز أمن الدولة وإلغاء حكم الطوارئ في مصر.

والمؤسسة العسكرية الذين حكموا مصر منذ عام ١٩٥٢ حتى يومنا)[١] والكتاب فيه الكثير من الحقائق عن مصر، ولا ريب أن القارئ سيستمع بقراءة الكتاب وسيرى حقائق مذهلة عن مقومات الاقتصاد المصري هذا الكتاب وغيره من الكتب.

واضافة الى ذلك عن قوة العوامل الداخلية وبطريقة كبيرة وتأثيرها السلبي على عملية التقدم وازدهار الأوطان حدث في مصر ان الهيئة التي كانت من المفترض أن تكون حارسا أمينا على الأموال التي يتم تحصيلها من الأوقاف المصرية بمختلف أنواعها وتشعب أماكنها وهي بمثابة الرافد الثاني للمصريين ماديا وفي صدد هذا الموضوع (... قدرت هيئة الأوقاف المصرية وفي نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠١٨ قيمة إجمالي الأوقاف تحت إدارتها بنحو تريليون و٣٧ مليار جنيه مصري، وتضم خريطة الأوقاف في عموم مصر نحو ١١٤ ألف وقف. فعمر الأوقاف المصرية يمتد إلى أربعة عشر قرنا، وقد ارتبطت نشأته بالمساجد وبعد ذلك توسع ليرتبط في كافة مجالات الحياة حتى عام ١٩٥٢م حيث بادرت الدولة إلى الغاء الاستقلال الإداري للأوقاف ومؤسساتها وإلغاء الوقف الأهلي وبموجبه باتت أوقاف مصر المنهوبة التي تعتبر الأكبر في العالم بعد الأوقاف في أرض الحرمين، وتتوزع بين أراض زراعية وأخرى للبناء، وعقارات ومصانع وشركات وأسهم في البورصة، كما تشمل أكثر من ٢٥٦ ألف فدان زراعي. بالإضافة إلى ٤٢٠ ألف فدان معروفة باسم وقف مصطفى عبد المنان ويمتد على ٣ محافظات هي دمياط والدقهلية وكفر الشيخ، وهي محل نزاع بين هيئة الأوقاف والمحافظات، كما تضم الخريطة نحو ٢٠٠ ألف وحدة عقارية متنوعة بين وحدات سكنية وتجارية وإدارية.....)[٢] هذه مقدم مختصرة عن بعض الأوقاف المصرية ولا

---

[١] د/ عبدالخالق فاروق، هل مصر بلد حقا فقير؟ ردا على الجنرال عبدالفتاح السيسي، سلسلة إصدارات مركز الاستقلال للدراسات الاستراتيجية ٢٠١٨م، نسخة الإلكترونية، ص، ٤ بطبيعة الحال تم منع نشر الكتاب وتداوله في مصر، وقد تعرض الكاتب لمضايقات مختلفة

[٢] برنامج للقصة بقية تم بث الحلقة بتاريخ (٨ / ١٢ / ٢٠٢٠م) سلط الضوء على قضية أوقاف مصر المنهوبة، الجزيرة نت، تاريخ الرجوع إليها ١٧ / ١ / ٢٠٢٣م (بتصرف)

ريب أن لها دور إيجابي وفعلي كما كان سابقا في التخفيف من أزمات مصر المالية وتساهم في الجانب، العلمي والمعرفي والابتكار التقني وغيرها من الجوانب التي تؤدي إلى البناء المعرفي وازدهار الوطن.

فتلك الأموال الموقوفة لم تسلم من عبث العابثين الذين تلبسوا بالفساد فبعد أن كانت الأوقاف المصرية تدين الدولة أصبح الوضع مغايرا فباتت الأوقاف المصرية هي التي تستقرض من الدولة فعلى الرغم من (...أن وزارة الأوقاف في مصر تعتبر الأغنى بين مؤسسات الدولة، بسبب هذه الأوقاف، وأنها كانت تساهم في تلبية الكثير من حاجات أبناء المجتمع المصري[1]، فإن الأرقام كشفت في السنوات الأخيرة عن حقائق مذهلة،

---

[1] من صور مرض الفساد في الأوقاف المصرية قال الشيخ الدكتور محمد الصغير مستشار وزير الأوقاف المصرية سبقا (... كثرت الفساد في وزارة الأوقاف أن عدد الموظفين فيها أكثر من ربع مليون موظف وعامل هذا العدد المهول أكبر من هيكل إداري لدولة من الدول الصناعية الكبرى هذا العدد المهول في معظمه النسبة الكبرى منه أقام شبكة من شبكات الفساد المتنوعة والمتعددة العابرة للمحافظات بل استطاعت وزارة الأوقاف أن تحافظ على شيء من الفساد تميزت به عن وزارات الدولة فهي تعين العمال والموظفين والمؤذنين ... ولو أخذنا مثالاً واحدا بمحافظة الإسكندرية العاصمة الثانية بمصر عندما كنا في وزارة الأوقاف وجدنا أن هناك في الإسكندرية، وما حولها أكثر من أربعة الآلاف مسجد وهمي يعني تم ضمها إلى الدولة وإلى الحكومة بمحاضر رسمية ولا يوجد مسجد ولا مصلين، وتم تعين موظفين وأئمة وعمال بلغت أعداد هؤلاء في الإسكندرية فقط أكثر من عشرة الآلف يتقاضوا رواتب وليس لهم مساجد... موظفي الوزارة يتعاملوا مع أموال الأوقاف مع ما تحت أيديهم مما تركه أهل البر والاحسان، على أنها ملكية لهؤلاء الموظفين، وكل موظف يحاول أن يستفيد من هذه الأوقاف حسب موقعه؛ الموظف الصغير بنسبة صغيرة وهكذا تتدرج حتى نصل إلى وزير الأوقاف. الفساد لم يكن فقط في النواحي المادية؛ إنما كان حتى فيما يتعلق بالشعائر، حيث كانت هناك مساعدات لمن لا يستطيع أن يحج. كانت هناك بعثة رسمية من الأوقاف تخرج لمساعدة من لا يستطيع الحج وكل هذه الأمور توزع بالوساطات والمحسوبيات على كبار الموظفين. وكلما على فساد الموظف كلما ترقى وأصبح مكانه أكبر في منظومة الفساد داخل وزارة الأوقاف... ما من ملف فتحناه في فترة وجودنا في وزارة الأوقاف أو قضية تدخلنا فيها إلا وجدناها مبنية على الفساد، فكانت الخطة التي ارتأيناها هي إغلاق منابع الفساد وتحييد القيادات

حيث أصبحت الوزارة التي كانت تقرض الدولة المصرية وتدعم المصريين، مدينة للدولة وتلجأ للقروض للقيام بالتزاماتها. وقد كشف الواقع المالي المتردي للوزارة عن قضايا فساد ضخمة مورست بحق أموال الأوقاف التي كانت في عهدة الوزارة ومسؤوليها في السنوات العشر الأخيرة...)[1] هذا جزء بسيط عن موضوع الفساد في وزارة الأوقاف التي كانت في احسن حال في العهد الملكي ونشاطها توسع في تلك الفترة وموارها كانت تتدفق على مستحقيها وتصل إليهم، وبعد أن تغير وضع الدولة المصرية اختلف الوضع وكل ذلك تتسبب الى تأخر مصر علما بان صور الفساد تنوعه من مؤسسة الى أخرى فالله المستعان على ذلك، ولا بد من الإشارة هنا أن الفساد متوسع في جميع دول العالم حتى مؤسسات الأوقاف وهي ليست محصورة ومقتصرة عل مصر بل يتعدى ذلك لينتقل إلى بعض الدول الأخرى والفارق فقط نسبة التأثير وقوة الفساد من ضعفه.

تقليم أظافر من يشق عصا الطاعة وقصقصة أجنحة الدول الصاعدة خصوصا العربية:

هذه النقطة التي هي تعيق مرحلة التقدم للدول من خلال البناء المعرفي وازدهار الأوطان وهذا الدور تقوم به الدول الكبرى المؤثرة وتعمل على وأد طموحات الدول

الفاسدة سواء العسكرية منها أو المدنية... لما كنت من المشرفين على رحلة الحج وجدت أصعر بند من بنود الفساد لرئيس بعثة الحج الرجل المحرم بجوار الحرم أربعين ألف ريال اتصالات خلال فترة أسبوع؛ فلما سألت ﴿ رئيس البعثة يتصل بمن؟ وهو عنده تفويض كامل بصلاحيات وزير ورئيس بعثة، ثم ان وزارة الأوقاف مغلقة لأنه وقت إجازة عيد الأضحى ﴿بمن يتصل؟ ﴾ ناهيك عن الفندقين الكبيرين إلى دفعوا أموالهم وإيجارهم مرة واحدة، لما يدفع موظف إيجار عامين ثمانية ملايين ريال المفروض يدفع شهري أو ربع سنوي، لماذا تتم عملية الدفع دفعة واحدة كم نسبة العمولة التي أخذها هذا الموظف... ولما دخلنا إلى وزارة المساجد وزارة الدعوة وجدنا سبعة لواءات أغلبهم من الجيش والمخابرات،...) المرجع السابق (بتصرف)

[1] المرجع السابق (بتصرف)

العربية نحو التقدم المعرفي ومن هنا تحدث عملية الاخفاق نحو تحقق المزيد من التطور في مجال المعرفة في الدول العربية وعلى العاقل أن يدرك ويتمعن أن هناك عناصر خفية سعت إلى إجهاض وعرقلة مشاريع النهوض في العالم العربي خصوصا في مصر أولاً والعراق ثانياً[٢].

فقد تمت عملية التخطيط مسبقا من قبل الدول الكبرى وقد أشرنا إلى ذلك عن مصر، وفي هذه الفقرة نتحدث اختصارا عن العراق فمنذ تسعينيات القرن العشرين أبان الحصار المؤلم على العراق وتجريده من أسلحة الدمار الشامل وقد كان من ضمن أهداف العقوبات التي فرضت على العراق هي تصفية العقول العراقية (فهذا هانز بليكس، المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية، صرح بأن تدمير الأجهزة والمعدات ليس بذي قيمة ولا يكفي، لأن العلم والمعلومات في عقول حامليها، واستخدم عبارة ((إن العفريت انطلق من القمقم))، فكان بذلك يدعو بصراحة إلى تصفية العقول بوصفها

---

[٢] استطاعت العراق بعد أن فكرت مليا أن تمحو آثار الأمية الأبجدية وأوجدت محلها نخبة من العلماء ذات العقول المبتكرة ففي

(مضمار التطور الشامل لبنية المجتمع العراقي في القرن العشرين ، شكلت النسبة العالية للأميين عائقاً كبيراً أمام أي تنمية جدية. لذلك أصبح محو الأمية الهدف الكبير للتعليم، حيث صدر في سنة ١٩٧٨ م قانون محو الأمية الذي تقرر بموجبه القيام بحملة وطنية لمحو الأمية بصورة إلزامية، وقد بدأت الحملة في ١٩٧٨/٢/١ م واستمرت ثلاث سنوات، وتكللت بالنجاح الباهر والقضاء على الأمية بعد أن شملت ٢,٣ مليون مواطن. وحصل العراق في ضوء نتائجها على جائزة اليونسكو في القضاء على الأمية...) همام عبدالخالق عبدالغفور وعبدالحليم إبراهيم الحجاج، استراتيجية البرنامج النووي في العراق في إطار سياسات العلم والتكنولوجيا، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط، الأولى نيسان/ ابريل ٢٠٠٩م، ص،٦٠ (بتصرف) ولكن كل تلك الجهود والمحاولات من اجل تكوين بيئة متعلمة تتعلم وتعلم الأجيال القادمة تستطيع أن تتفوق على بعض العقول في الدول المتقدمة باءت بالفشل وأجهضت الخطط وتردت أوضاع المتعلمين بسبب الانفلات الأمني وعادت الأمية من جديد تطفو على السطح حاملة في طياتها غبار التخلف والتأخر عند الشعب العراقي الذي كان يفتخر بمنجزات كفاءاته المختلفة وعقول أبناءه المبتكرة.

الحل النهائي..)[١] وتؤكد على سياسة التصفية للعقول العراقية السيد مادلين أولبرايت وزيرة الخارجة في عهد الرئيس السابق بل كلينتون من خلال دعوتها العلنية لذلك (..إلى القضاء على العقول العراقية، وتأكد ضرورة استئصالها، حين قالت: ((ماذا نستطيع أن نفعل مع العراق غير تدمير العقول العراقية أهم من ضرب القنابل ...)[٢] وهذه التصريحات العلنية صادرة من أفواه كبار صناع القرار الدولي وقد حققوا نجاحا في بعض الجوانب في تصفية بعض العقول العراقية (وقد دفعت حملات التصفية الجسدية والخطف وحملات التهجير القسري الملايين من كافة مناطق العراق إلى ترك البلد والهجرة إلى الخارج وأدت إلى حرمان العراق من خيرة كوادره وأبنائه المخلصين وخلق مأساة إنسانية جديدة خاصة باللاجئين ومعاناتهم القاسية في بلاد الغربة نتيجة إجبارهم على ترك العراق)[٣] ومفارقتهم وطنهم العزيز الذي ولدوا وشبوا فيه وترعرعوا ونهلوا من خيراته الطبيعية والعلمية فيالها من مصيبة تعصف بكل دولة يختل فيها الأمن والاستقرار، ويالها من محنة تصيب كل من فقد حلاوة الأمن والاستقرار ظل يصارع الاضطرابات المختلفة السياسية والطائفية وهذه أحد النتائج السلبية والمحيرة للعقل تصفية العقول والكفاءات العلمية في ظل اختلال موازين الأمن.

هذه لمحة بسيطة عن مصر والعرق بعد أن وصلت الدولتين إلى مستوى متقدم في مجال المعرفة والتقدم العلمي بمختلف أنواعه بداية من مصر إلى العراق وكما أشرنا أن العوامل الداخلية كانت السبب في ذلك فالدول الكبرى لديها خطط استراتيجية تنفذها في الوقت المناسب وعملة على تقليم اظافر مصر بالآت حادة وعملت أيضا على

---

[١] همام عبدالخالق عبدالغفور وعبدالحليم إبراهيم، استراتيجية البرنامج النووي في العراق، مرجع سابق، ص،١٦٥ (بتصرف)

[٢] المرجع السابق، ص، ١٧٠

[٣] مصطفى علي العبيدي، صفحات احتلال العراق مشاهدات صحفي من حرب لا تنتهي ٢٠٠٣ . ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت، ط، الأولى ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨م ص، ٩٨ (بتصرف)

قصقصت اجنحة الدولتين مصر والعراق كي لا تحلقان إلى فضاء المعرفة ويكون لهما شأن عظيم كما كان سابقا خصوصا مصر.

وخلاصة القول إن الدول العربية والإسلامية لديها الكثير من الإمكانيات التي تستطع أن تكون من الدول المتقدمة والمتطورة تجدد الصناعات وتكتشف ما لم يتم اكتشافه لديها الامكانيات المختلفة العلمية والعملية واراضيها وفيرة بالثروات الطبيعية ومنها المالية التي تعتبر المحرك الأساسي للعامل البشرة ومن أساليب عجلة التقدم و الازدهاء ولكن الكثير من الدول تفتقد الإرادة الصادقة للتطور الذاتي من خلال الاعتماد الكلي او الجزئي على سواعد أبنائها بمختلف توجهاتهم وتخصصاتهم العلمية وهي المشكلة التي يصعب حلها في القريب العجل ولكن ليس بالمستحيل، في حالة ان عادة الى منهجها القويم وتمسكت بتعاليم ربما القويم وتكون اللغة العربية هي التي تعتمد لتطوير معرفتها وتتحكم فيما تبتكره ذاتيا بعد عملية الترجمة لبعض العلوم المهمة لعملية الابتكار والبناء المعرفي.

ونختم هذه الفقرة عن العرب ودولهم والعقول التي فيها من خلال التعرض للحوار الذي أجراه الكاتب والباحث الاماراتي الأستاذ: ياسر بن سعيد حارب مع القنصل الصيني في دبي، وكان محور الحوار الذي دار بينهما عن (تأريخ الصين وكيف أن التاريخ لا يكتبه إلا القوي) وفي نهاية الحوار قال في كثير من الأحيان يجحف هذا القوي بحق الأحداث التاريخية ويجيّر التاريخ لصالحه، ففي نهاية الحوار قال (.... قلتُ للقنصل بأنه عندما كان الرهبان في أوروبا ينسخون الكتاب الواحد في سنة وسنتين كان الصينيون يطبعون ملايين الكتب، وعندما كان الصينيون يضعون اللبنات الأخيرة في سورهم العظيم، كان الأوروبيون يبصقون على أرضيات اللوفر ويبولون في أروقته... ثم سألته عن رأيه في المقولة التي تقول إن الحكمة نزلت عقول الروم، وألسنة العرب. وقلوب الفرس، وأيدي الصينيين، فرد قائلا: **« ولكن العرب والصينيين لديهم عقول نيرة أيضا نزلت عليها الحكمة قبل مئات السنين، ولو أنهم أعملوها فيما بينهم لاستطاعوا تحقيق الكثير » فهل العالم العربي مصاب بالحَوَل ولا ينظر إلا غرباً كما**

يقول مهاتير محمد ؟ وهل يبقى العرب في دوامة الصراع الأيديولوجي مع الغرب دون البحث عن وجهات أخرى؟ وهل يمكننا أن نجيب التاريخ الذي تعب وهو يسأل: متى نتعلم الدرس؟)[1] التي تعيد الامجاد للدول العربية إلى عالم التقدم والازدهار المعرفي والتقدم التكنولوجي وتكون عزيزة مرفوعة الرأس لا مطأطأة رأسها وتكون على أقل تقدير متساوية مع غيرها من الدول التي صعدت الى عالم الرقي الحضاري والتقدم العلمي إن لم تكن متفوقة على غيرها من الدول الانتهازية التي غالبا من تصطاد في الماء العكر.

أما عن بقية الدول التي نجحت في التصدي للمؤامرات الخبيثة من خارج العالم الإسلامي أثبتت قدرتها على الصمود أمام التحديات العالمية المعاصرة وأصبحت مصدر تهديد للدول التي تفكر باجتياح أراضيها أو السعي لكبح جماح طموحاتها للتحليق إلى عالم المعرفة والتقدم العلمي الحديث، وعلى سبيل المثال لا الحصر الصين التي تقدمة التقدم العلمي الحديث بعد الحرب العالمية الثانية بعد أن استوعبت من الدروس وعملت على تدارك الأخطاء، وقد كانت الإرادة الوطنية الصينية هي التي ساندة ذلك وقد نجحت وحققت ازدهارا ملموسا على أرض الواقع.

المؤسسات الصينية ودورها في نهوض الجمهورية الشعبية معرفيا وصناعيا.

[1] التاريخ يسأل مقال للأستاذ ياسر بن سعيد حارب باحث إماراتي نشر بجريدة البيان الإماراتية يوم الأحد ٩ رمضان ١٤٢٧ هـ ١٠ / ١٠ / ٢٠٠٦ م العدد: ٩٦٠١ مع اختصار بعض الفقرات

لم تفلح خطط الدول المعادية لجمهورية الصين من دول النظام الرأسمالي في اجهاض خطط الصين التي تحققت نهضتها وازدهرت حضارتها مرة أخرى من خلال مقومات تقدمها في ظل العصر الراهن والتطورات الحديثة[1].

وتُعّد المؤسسات الجديدة والمتطورة التي أنشئت في الصين بمثابة عجلة الانطلاق إلى الأمام معرفيا وصناعيا... وقد قامت الحكومة الصينية بالاهتمام بتلك المؤسسات أهمها المؤسسة التعليمية والصناعية... من أجل الوصول إلى الأهداف المنشودة التي سعت الحكومة إلى تحقيقها على أرض الواقع، إضافة إلى ذلك مسايرة عالم التطوير الحقيقي للعلوم المختلفة الحديثة، والاستفادة الفعلية من الانجازات العلمية التي تم استيرادها من قبل الاتحاد السوفيتي، وكما هو معلوم فقد (... تم الاعتماد على نظام التعليم للمنهج السوفيتي الذي جعل المهمة الرئيسية للمدارس والجامعات تنحصر في تخريج الفنيين، والمهندسين وعلماء الطبيعة الذين كانت الصناعات الحديثة بأمس الحاجة إليهم. ثم إن خطط التعليم أيضاً كان مصدرها الاتحاد السوفيتي، لذلك أصبح إتقان اللغة الروسية

---

[1] أثار «منطاد للمراقبة على ارتفاعات عالية» تم العثور عليه في المجال الجوي للولايات المتحدة، والذي يشتبه أن تكون أرسلته الصين، مخاوف لدى واشنطن، لكن هذه ليست المرة الأولى التي تُنشر فيها بالونات تجسس من جانب الدول لجمع معلومات عن أعدائها؛ إذ تم استخدامها للمرة الأولى في عام ١٧٩٤ خلال معركة فلوروس في حرب التحالف الأول. وأعلن البنتاغون (الخميس ٢/ فبراير ٢٠٢٣م) أنه رصد تحركات منطاد تجسس صيني يحلق على ارتفاع شاهق فوق الأراضي الأميركية ومواقع عسكرية حساسة، قائلاً إنه لا يشكل أي تهديد مباشر. وذكر أحد المسؤولين الأميركيين أن بالونات التجسس حلقت فوق الولايات المتحدة عدة مرات في السنوات الأخيرة، لكن يبدو أن هذا البالون باقٍ لفترة أطول من المعتاد في حالات سابقة، حسبما أفادت وكالة «رويترز» للأنباء.وتصاعد التوتر بين بكين وواشنطن في الآونة الأخيرة، خاصة بعد زيارة رئيسة مجلس النواب السابقة نانسي بيلوسي لتايوان في أغسطس (آب)، وهي الزيارة التي دفعت الصين إلى القيام بتدريبات عسكرية ضخمة قرب الجزيرة التي تتمتع بحكم ذاتي. وسعت واشنطن وبكين منذ ذلك الحين إلى التواصل أكثر ومنع تدهور العلاقات. الشرق الأوسط: الجمعة –١٢ رجب ١٤٤٤ هـ –٠٣ فبراير ٢٠٢٣ مـ رقم العدد [١٦١٣٨]

مفتاح الأمان لتسلق المراكز الوظيفية الرفيعة. وقدم إلى الصين أكثر من ١٢٠٠٠ مهندس وفني من روسيا ودول أوروبا الشرقية...)[١] التي أسهمت بطرق متنوعة على تطور البناء المعرفي والصناعي للصين، وقد وضع من قدم إليها من المهندسين والفنيين بصمات متنوعة لعلومهم المختلفة التي برعوا فيها واستفاد منها الصينيون.

وبهدف الاستفادة من العلوم والخبرات العلمية والعملية، بالطبيعة الحديثة المتطورة كان لابد للصين من إيفاد نخبة مجيدة من أبنائِها لتحقق أكبر قدر من الفائدة العلمية والعملية للصين، بحيث تكون قادرة في المستقبل على تطوير صناعاتها المختلفة ومؤسساتها المتنوعة إضافة إلى ذلك استفاد شعبها من تلك العلوم التي بنو عليها وطوروها محليا، ومن أجل كل تلك الأهداف الموضوعية (..ذهب ٣٠٠٠٠ مهندس وعالم وعامل وطالب صيني طلباً للعلم والتدريب في الاتحاد السوفيتي...)[٢] وفي نهاية المطاف أثمرت تلك الجهود التي بذلت وجنت جمهورية الصين نتائجها الطيبة، كل ذلك من خلال تفعيل عامل الجد والاجتهاد من قبل المنظرين والمخططين الصينيين الذين استطاعوا أن يحققوا نهوضا حقيقياً لجمهورية الصين وشعبها المساند لها لذلك التقدم، وقد كانت نتائج ذلك التخطيط السليم واضحة المعالم في عصرنا الراهن فأصبحت الصين رائدة في مجال الاكتشافات والاختراعات تكتشف وتخترع بين فترة وأخرى وتنتج في المجالات المختلفة والتخصصات العلمية المتنوعة.

وبسبب عملية التخطيط السليم التي وضعها أصحاب الكفاءات والخبرات المختلفة الصينية استطاعت الصين وبثبات النهوض وأن تحقق لشعبها ما كانت تسعى إليه وتتمناه فانتقلت من مرحلة الركود إلى طور التقدم والنمو المتعدد الجوانب والمتشعب الاتجاهات بفضل تخطيطها السليم، فاتجهت نحو الرقي والتقدم المادي ففي ظل السباق المحموم للتقدم المادي(... اهتمت الحكومة الصينية بالصناعات الثقيلة وقد زادت نسبة إنتاج

---

[١] د/ وجيه أحمد عبدالكريم، ماو تسي تونغ العملاق الأصفر، دار الكتاب العربي دمشق . القاهرة، ط، الأولى ٢٠١٢م، ص، ٢٠٤ (بتصرف)

[٢] المرجع السابق، نفس الصفحة

الحديد والصلب والطاقة، والبتروكيماويات، والأسمنت والألمونيوم، والفولاذ وتقدر هذه الزيادة في الإنتاج الصناعي بنحو ١٢,٧٪ في عام ١٩٧٧م كما بدأت صناعة السيارات والطائرات والالكترونيات تزدهر، وأصبحت رمزا من رموز التطور الصناعي الصيني...)[٣] الذي هيأ لجمهورية الصين الشعبية ذات الكثافة السكانية العالية أن تتبوأ مكانة مرموقة في عالمنا المعاصر، وأصبحت من ضمن دول القوى الاقتصادية العالمية واستطاعت بفكرها المادي وقوة سواعد أبنائها أن تغزو بعض الدول بمنتجاتها المختلفة.

وتكملة للجهود التي بذلتها الحكومة حاولت الصين جاهدة على أن تواصل مشوارها الحقيقي نحو النهوض والارتقاء من خلال الاعتناء بعملية تقدمها العلمي، وغدت تتكيف مع مجريات الأحداث لأوضاع العالم المختلفة فأخذت تتوسع في دول العالم شرقا وغربا شمالا وجنوبا، وتأكيدا على نهج الصين الذي أهلها لأن تكون من الدول الصناعية الحديثة في تطور ابتكاراتها المتنوعة وبسواعد أفراد شعبها (... قال: " السيد ((شوين لاى)) رئيس وزراء الصين في ذلك الوقت ((لأجل أن نبني بلدنا ونكون دولة اشتراكية قوية ذات زراعة وصناعة حديثة، ونستحوذ على وسائل الدفاع والتكنولوجي والعلم، فإنه لا بد من مراعاة ما يلي عند وضع خططنا الاقتصادية في المستقبل: ١- مراعاة العلاقة بين الصناعات الصغيرة والثقيلة. ٢- التوافق بين الاعتماد على النفس والتعاون الدولي. ٣- القيام بنهضة كبيرة. ٤- الجمع بين القيادة المركزية والاتصال بالشعب...)[١] بمختلف توجهاتهم ففي النهاية خدمة الوطن والنهوض بالاقتصاد الوطني الصيني، فتلك المبادئ المهمة التي اعتمدت عليها الصين في مجال التطور والبناء المعرفي سبيل إلى التقدم العلمي والازدهار الاقتصادي وهي التي وضعت بعض أسس النهوض الاقتصادي الصيني ومراعاة تطبيقها في مختلف مجالات طرق الرقي الصناعي، وتنفيذ بنودها من دول الإخلال أو التغاضي عن أهم مبادئها.

[٣] المرجع السابق، ص، ١٢٨(بتصرف)
[١] المرجع السابق ص، ١٢٨ و ١٢٩

وقد قال (.... الخبير الاقتصادي توم بيترز عندما كان يلقي محاضرة ووضع رقم ٤٦ على شاشة العرض وقال بحرقة: «في كل ٤٦ دقيقة يفتح مصنع جديد في الصين»،.... وحتى تضمن الصين إحكام قبضتها على زمام القدرة الإنتاجية الهائلة قامت بالاستثمار في التكنولوجيا ونقلها إلى السوق المحلية، حيث يفتح في كل ٢٦ دقيقة مختبراً للبحث والتصدير في الصين، واستطاعت الصين من خلال سوقها الضخم أن تجبر الشركات العالمية الراغبة في دخوله على نقل عملياتها التقنية إلى الصين، ولأول مرة تقوم شركة مثل جنرال إلكتريك بكشف بعض أسرارها التقنية لعاملين أجانب وتنقل إليهم خبراتها التي تحفظت عليها لأكثر من قرن من الزمن....)[٢] وقد استفادت الصين من تلك الخطط وقد كان لعامل الاعتماد على الذات الصينية الدور الأكبر في تقدم الصين معرفيا والمساهمة في تطور علم الصناعات المختلفة كل ذلك مكن الصين من ان تكون في ميدان المنافسة والريادة العالمية.

المحتويات

المقدمة

المحور الأول: التعريف بمعنى كلمة التقدم وتوضيح معنى كلمة التأخر

أولاً: معنى كلمة التقدم.

ثانياً: معنى كلمة التأخر.

المحور الثاني: مصر من عالم التقدم إلى منهج التأخر.

أولاً: التعليم ودوره في رقي مصر معرفيا.

ثانياً: الثمرة الحقيقية لتعلم العلوم المختلفة.

---

[٢] من مقال ياسر بن سعيد حارب تحت عنوان التاريخ يسأل مقال للأستاذ باحث إماراتي نشر بجريدة البيان الإماراتية

ثالثاً: مصر وتقدمها الحقيقي في مجال المعرفة:

رابعاً: ازدهار الاقتصاد المصري:

أولاً: بناء المصانع وتطويرها:

ثانياً: التطور العسكري المصري.

ثالثاً: الاكتفاء الذاتي من بعض المواد الغذائية.

المحور الثالث: عوامل التأخر ومنهج التخلف المصري.

أولاً: التراجع في منظومة التشريعات المختلفة.

ثانياً: مصر أصبحت بيئة طاردة للكفاءات.

ثالثاً: تدهور الأوضاع المختلفة في مصر؛ السياسية التعليمية الصناعية.

رابعاً: وباء الفساد الذي دمر الدولة المصرية.

الخاتمة

- **تقليم أظافر من يشق عصا الطاعة وقصقصة اجنحته من الدول الصاعدة خصوصا العربية.**
- **المؤسسات الصينية ودورها في نهوض الجمهورية الشعبية معرفيا وصناعيا.**

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج، ٢ المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إستانبول تركيا، ط، بلا.

- لسان العرب، للإمام العلامة محمد بن مكرم... ابن منظور، ج الأول / دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي بيروت لبنان، ط، الثانية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
- مؤمن المحمدي، طرة لاند سقوط عصابة التوريث ورموز الفساد في مصر السابقون والأسبق، مؤسسة الجزيرة للنشر والتوزيع، ط، الأولى ٢٠١١م.
- د/ أحمد عزت عبدالكريم، تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد علي إلى أوائل حكم توفيق ١٨٤٨ ـ ١٨٨٢ م، الجزء الأول، وزارة المعارف العمومية، مطبعة النصر ٢٢٢ شارع فاروق مصر.
- مجلة ذاكرة مصر المعاصرة، العدد: التاسع، ابريل ٢٠١٢م، مكتبة الإسكندرية.
- **د/ مسعود ظاهر**، النهضة العربية والنهضة اليابانية تشابه المقدمات واختلاف النتائج: عالم المعرفة، الكويت العدد، ٢٥٢.
- د/ مســـــعود ظاهر، اليابان بعيون عربية، مركز دراســـــات الوحدة العربية، بيروت، ط، الأولى نوفمبر ٢٠٠٥م.
- جي فارجيت، محمد علي مؤسس مصر الحديثة، المركز القومي للترجمة القاهرة، ط، الثانية ٢٠٠٨م، ترجمة محمد رفعت عواد.
- د/ جمال حمدان، شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان، ج، ٢، دار الهلال القاهرة رقم الإيداع: ١٠٨١٦٤/ ١٩٩٤
- رضوان طارق، عام الحسم السادات والناس مصر ٧١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٥م
- ثقافة العنف والعوامل المغذية لها قضايا فكرية معاصرة، إبراهيم بن حبيب الكروان السعدي، ج ١، ط الأولى، ٢٠١٢م، مؤسسة عمان للصحافة والإعلان والنشر مسقط.
- عمرْو الشلقاني، ازدهار وانهيار النخبة القانونية المصرية ١٨٠٥ ـ ٢٠٠٥، دار الشروق مدينة نصر القاهرة، ط، الأولى ٢٠١٣.
- الأطر الثقافية الحاكمة لسلوك المصريين واختياراتهم دراسة لقيم النزاهة والشفافية والفساد، د/ أحمد زايد الباحث الرئيس، خالد عبدالفتاح، منال زكريا، عادل شعبان، تقديم د/ أحمد درويش وزير التنمية الإدارية الأسبق، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية كلية الآداب . جامعة القاهرة ٢٠١٣م.

- همام عبدالخالق عبدالغفور وعبدالحليم إبراهيم الحجاج، استراتيجية البرنامج النووي في العراق في إطار سياسات العلم والتكنولوجيا، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، ط، الأولى نيسان/ ابريل ٢٠٠٩م.
- مصطفى علي العبيدي، صفحات احتلال العراق مشاهدات صحفي من حرب لا تنتهي ٢٠٠٣ . ٢٠٠٧م، الدار العربية للعلوم ناشرون بيروت، ط، الأولى ١٤٢٩ هـ . ٢٠٠٨م.
-) د/ عبدالخالق فاروق، هل مصر بلد حقا فقير؟ ردا على الجنرال عبدالفتاح السيسي، سلسلة إصدارات مركز الاستقلال للدراسات الاستراتيجية ٢٠١٨م، نسخة الإلكترونية.
- د/ وجيه أحمد عبدالكريم، ماو تسي تونغ العملاق الأصفر، دار الكتاب العربي دمشق . القاهرة، ط، الأولى ٢٠١٢م.

الدوريات

- مجلة المصّور العدد: ٤٧٣٦ تاريخ ٢٨ رمضان ١٤٣٦هـ / ١٥ يوليو ٢٠١٥م/ القاهرة.
- جريدة الأهرام المصرية.
- جريدة البيان الإماراتية.
- جريدة الشرق الأوسط.

المواقع الالكترونية

- الجزيرة نت (aljazeera.net)

إعداد: إبراهيم بن حبيب الكروان السعدي

باحث في الفكر المعاصر من سلطنة عمان مسقط